جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

تجليات الطبيعة السماوية في الشعر السعودي
عند شعراء الجنوب دراسة دلالية فنية

Manifestations of the Celestial Nature in Saudi Poetry by Southern Poets A Semantic Artistic Study

إعداد

الباحثة/ نجد خالد محمد آل زبيد اليامي

باحثة في الدراسات الأدبية والنقدية

كلية العلوم والآداب، جامعة نجران، المملكة العربية السعودية

(العدد الثالث والأربعون)

(الإصدار الرابع-نوفمبر)

(الجزء الثاني (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

تجليات الطبيعة السماوية في الشعر السعودي عند شعراء الجنوب
دراسة دلالية فنية

نجد خالد محمد آل زبيد اليامي

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم والآداب، جامعة نجران، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: Najd Al-Yami @gmail.com

الملخص:

الشعراء السعوديين مثلهم كمثل بقية شعراء العرب قد فتنوا بجمال الطبيعة وسحرها ومناظرها الخلابة، فتناولوا كل ما فيها من رياض وأزهار، وأرض، وسماء، وحيوان، معتمدين على الحواس مسقطين على الطبيعة الصفة الإنسانية.

ولما كانت الطبيعة الجنوبية بالمملكة العربية السعودية تتميز بالتنوع المناخي، فصيفها معتدل في درجة الحرارة، حيث لا تتجاوز درجات الحرارة فيها (خمس وعشرون) درجة مئوية في وقت الذروة الصيفية، وفي الشتاء يتحول برودته القاسية إلى ربيع جميل، ومن ثمَّ فجنوب المملكة يتميز بأجواء باردة على مدار العام، فهو يتمتع بمقومات مناخية ومناظر طبيعية جاذبة تؤهلها لاستقطاب وجدان آلاف الشعراء بالوصف والرصد والاندماج والتجسيد والتشخيص.

وبناء على ذلك جاء هذا البحث، كمحاولة لإلقاء الضوء على الأثر الذي خلفته الطبيعة خاصة السماوية ومكوناتها في شعر الشعراء السعوديين، من خلال المنهج الوصفي القائم على الرصد والتحليل.

وقد اشتمل البحث على مقدمة تتضمن نظرة سريعة عن خطة البحث ومنهجه ومشكلته وحدوده الزمانية والمكانية واللغوية ثم يتداول البحث بعد ذلك عناصر الطبيعة

السماوية في شعر الشعراء السعوديين ودلالتها الفنية على النحو التالي: المبحث الأول: الدِّلالات الدينيَّة. المبحث الثاني: الدِّلالات الرمزيَّة. المبحث الثالث: الدِّلالات العاطفيَّة. المبحث الرابع: الدِّلالات النفسيَّة. أما الخاتمة فتتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: دلالة فنية، السماء، شعراء الجنوب، الطبيعة، المملكة العربية السعودية.

Manifestations of the Celestial Nature in A Semantic Saudi Poetry by Southern Poets Artistic Study

Najd Khalid Mohammed Al-Zubaid Al-Yami

Department of Arabic Language and Literature, College of Arts and Sciences, Najran University, Kingdom of Saudi Arabia.

Email: *Najd Al-Yami @gmail.com*

Abstract:

Saudi poets, like other Arab poets everywhere and at all times, have been fascinated by the beauty of nature, its magic and its breathtaking views, so they have addressed everything in it from gardens and flowers, land, sky and animals, relying on the senses and projecting the human characteristic onto nature.

Since the southern nature of the Kingdom of Saudi Arabia is characterized by climatic diversity, its summer is moderate in temperature, as temperatures do not exceed (twenty-five) degrees Celsius during the peak summer season, and in winter it turns into a beautiful spring with its harsh cold, and thus the south of the Kingdom is characterized by a cold atmosphere throughout the year, as it enjoys attractive climatic elements and natural landscapes that qualify it to attract the feelings of thousands of poets through description, observation, integration, embodiment and personification.

Accordingly, this research came as an attempt to shed light on the impact left by nature, especially heavenly nature and its components in the poetry of Saudi poets, through the descriptive approach based on observation and analysis.

The research included an introduction that includes a quick look at the research plan, methodology, problem, and temporal, spatial and linguistic origins. Then the research discusses the elements of heavenly nature in the poetry of Saudi poets and their artistic significance as follows: The first section: Religious connotations. The second section: Symbolic connotations. The third section: Emotional connotations. The fourth section: Psychological connotations. The conclusion includes the most important results reached by the research.

Keywords: ***Artistic Significance, Sky, Poets Of The South, Nature, Kingdom Of Saudi Arabia***.

المقـــدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، سيدنا محمد النبي الأميّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـــــد،

فقد استولت الطبيعة السماوية، بما فيها من مظاهر الجمال وما تبعثه من البهجة والسرور، على مشاعر كثير من الشعراء السعوديين فأعجبوا بها، وهاموا بجمالها وتفننوا في وصفها وتصوير محاسنها، وقد كان لهم قدرة بارعة على استيعاب أوصاف من سبقوهم بالإكثار منها والتأليف بين صورها، أو التلوين والتحوير فيها إلى غير ذلك من الألوان التي تجلي شخصيتهم واستقلال أوصافهم سواء أكان ذلك باندماجهم، وتعاطفهم مع بعض أوصافهم أم بما جودوا في بعض أوصافهم أو حسنوا في أعمالهم لما رأوا وشاهدوا من جمال بيئتهم الساحرة المبدعة ويخيل لمن يطالع دواوين بعض الشعراء أمثال: فيصل آل صالح ، محمد أبو شرارة، زاهر بن عوّاض الألمعي، عبد الرزاق بن حمود الزهراني، محمد بن أحمد العقيلي، علي الدميني، عبد الله بن أحمد الفَيْفي، إياد الحكمي، حسن محمد الزهراني، حسين الصميلي أنهم برعوا في وصف الطبيعة براعة لا يقاس بها غيرهم من التغني بمناظر طبيعة بلادهم ورسمها في لوحات شعرية بديعة .

ولما كان شعر الطبيعة متسع عند شعراء الجنوب آثرت أن أخوض غمار البحث على عنصر واحد من عناصرها وهو الطبيعة السماوية دون سواها فجاء البحث تحت عنوان: تجليات الطبيعة السماوية في الشعر السعودي عند شعراء الجنوب دراسة دلالية فنية.

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب متعددة لعل من أبرزها:

١. إن الحديث عن السماء ومكوّناتِها في الشعر السعودي له انعكاس نفسي ووِجداني في الإبداع الشعريّ؛ حيث لامست المفاهيمُ السماوية العديدَ من الدِّلالات الدينيَّة، والعاطفية، والرمزية، والنفسية، مما كان له أعظم الأثر في الكشف عن هذه التقنيات الفنية المتخفية وراء العبارات والجمل والسطور.

٢. العمل على إحياء ظاهرة أدبية قد سكت عنها الدارسون في الدراسات الأكاديمية وهي ظاهر حضور الطبيعة في الشعر ودلالته الفنية.

وقد جعلت حدود الدراسة المكانية عند شعراء الجنوب دون سواهم، أما الزمنية فقد تتبعت النماذج الشعرية المعاصرة، وبالنسبة للحدود اللغوية فهو الشعر العربي بنوعيه العمودي والمتحرر من النظام التقليدي الموروث.

وقد كان المنهج الوصفي التحليلي هو المتبع في هذا البحث وهو منهج قائم على الاستقراء والرصد والتحليل، وإبراز الدلالات الفنية وما توحيه الكلمات من إيحاءات ورموز فنيه بهدف للوصول إلى نتائج مرضية في هذا الشأن.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وأربعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: الدِّلالات الدينيَّة.

المبحث الثاني: الدِّلالات الرمزيَّة.

المبحث الثالث: الدِّلالات العاطفيَّة.

المبحث الرابع: الدِّلالات النفسيَّة.

الخاتمة : وتشملُ النتائج المهمة المستخلصة من البحث.

الفهارس: تشملُ: فهرسُ المصادر والمراجع .

والله ولي التوفيق

الباحثة/ نجد خالد محمد آل زبيد اليامي

المبحث الأول: الدِّلالات الدينيَّة

يقصد بالدِّلالات الدينيَّة في هذا المبحث، توظيفُ مفردات وألفاظ عناصرِ وظواهر الطبيعة السماوية في سياق ديني، وعْظي أو حماسي، أو تأمُّلي. وقد تأثَّر الأدب والشعر المعاصر بالألفاظ والنصوص الدينيَّة، وهو تأثُّر طبيعي؛ لما لهذه النصوص من تأثير على جوانب حياة الإنسان وتجاربه، وربما لا يخلو ديوانٌ من دواوين الشعر المعاصر من الإشارات والرموز الدينيَّة التي يتم تضمينُها واقتباسها لبثِّ معانٍ ومضامين جديدة بواسطتها، فتوظيف الشعراء للألفاظ ذات الدِّلالات الدينيَّة بما تحمله من شِحْنات رمزية عاطفية وحماسية يمثل ركيزةً من ركائز الثقافة الجمعية.

"ويختلف التوظيف للمضامين الدينيَّة باختلاف الشعراء ويتنوع بتنوُّع دوافعهم وشخصياتهم وأفكارهم ومذاهبهم، فقد ينسحب الموضوع الديني في قصائد بعض الشعراء على القصيدة بأكملها، بينما تَرِد المضامين الدينيَّة في قصائد أخرى على شكل إشارات سريعة رغم امتيازها مع ذلك بعُمق الدِّلالة وقوة الإيحاء، وتتعدد مواقف الشعراء من المضامين الدينيَّة التي يوظفونها بين الاستعمال السريع العابر للإشارات الدينيَّة من غير مراعاة لقُدْسية الرمز أو الشخصية الدينيَّة، وبين التوظيف المصحوب بالتقديس والمدفوع بمنطلقات دينية، فقد يكون مدحًا للدين أو الأنبياء والرسل ورسالاتهم، وقد يصحبه طلبُ العفو والمغفرة من الخالق"(١).

وهذا الموقف الثاني هو الموقف الغالب على قصائد شعراء الجنوب السعودي المعاصرين التي وظَّفوا فيها بعض المضامين الدينيَّة، واستعملوا بين ثنايا هذا التوظيف بعض مكوِّنات الطبيعة السماوية لخلق صور إبداعية غنيَّة بالعمق والصدق

---

(١) انظر: محسن، بشرى حنون، توظيف المقدس الديني في الشعر العربي الحديث، جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية، ٢٠٢١م. (ص١٥٠).

وقوة الشعور والجمال، تؤثر في نفوس المتلقين وتهيّج مشاعرهم وتُطرب ذائقتَهم.

فقد اختلفت الغايات والأهداف التي استخدم فيها الشعراء الصورَ الشعرية للطبيعة السماوية، وكان الهدف الديني واحدًا منها، فقد استخدموا الصُّور السماوية من أجل الدعوة إلى التفكُّر في وجود الخالق، أو في مدح الرسول ﷺ، أو ربطها بالمناسك الدينيَّة، وغيرها من الغايات والأهداف الدينيَّة؛ التي سوف أُورد صورًا منها في الشعر السعودي المعاصر.

ويُعَدُّ القرآن الكريم المنبعَ الرئيس للفكر الإسلامي؛ "حيث جاء القرآن قمةً في النظم والبيان والفصاحة وجودة الألفاظ ودقة المعاني والصور، فأبهر عقول العرب وأثَّر في علومهم وآدابهم، فبدأ التأثير بالشعراء فتأثروا بألفاظه وصُوَره ومعانيه فامتزجت في أشعارهم، وظهر هذا التأثُّر بألفاظ القرآن عند كثير من الشعراء في كل العصور"(١)، حتى الأدباء تأثَّروا بمعاني القرآن وألفاظه، واستقَوا منه في كتاباتهم، ومن بين تلك الألفاظ والمعاني التي تأثر بها الشعراء هي ألفاظ الطبيعة؛ حيث أبدع القرآن في تصوير الطبيعة الخلَّابة بكثير من الصُّور والمعاني والألفاظ التي صورتْ مشاهد مثل الليل، والشمس، والقمر، والأرض، والسماء، والنجوم، والكواكب، ومن ذلك التأثُّر نجد الشعراء يصورون مشاهد الطبيعة متأثرين بالقرآن.

وفيما يلي تتناول الباحثةُ الدِّلالاتِ الدينيَّةَ للطبيعة السماوية في مجموعة من النماذج الشعرية لبعض شعراء الجنوب السعودي المعاصرين.

---

(١) ينظر: الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م، (ص٧٩) بتصرف.

يقول فيصل آل صالح[١]:

يَحِــنُّ لِقُربِــهِ البَيْــتُ الحَــرَامُ وتعشــقُهُ الأمــاكنُ والأنــامُ
ألا لَبُّــوا النِّــدَاءَ بكُــلِّ نَــبْضٍ وَصَــلُّوا كُلَّمَــا مَــرَّ الغَمَــامُ
ليُزهِــرَ حُبُّــهُ فــي كــلِّ قلــبٍ عليــه صــلاةُ ربــي والســلامُ

بدأت القصيدة بمدح النبي ﷺ مستخدمًا في مدحه أحد عناصر الطبيعة السماوية، وهو الغَمام، والغمام هو السحاب، فهو اسم لكل سحابة فيها ماء أو ليس فيها ماء، والواحدة غمامة، فيقال: غيَّمت السماء وأغامت وتغيَّمت، وسُمي بذلك لأنه يغُمُّ السماء، أي يسترها، وقيل: سُمي غمامًا من قبل لقاحه بالماء، أي يغمُّ الماء في جوفه، وقيل لغمغمته وهو صوته[٢].

ويُعَد الغمام من مكوّنات الطبيعة السماوية التي نجد لها حضورًا في القرآن الكريم، والسنة النبوية، مثل قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ [سورة البقرة: ٥٧]، وقال ﷺ: (إن حالَ بينكم وبينه غَمَامَةٌ فعُدُّوا ثلاثين)[٣]، وقال: (فإن غُمَّ عليكم..)[٤]، ولما تمثلت السيدة عائشة ل بقول الشاعر:

---

(١) آل صالح، فيصل، ديوان فتنة الشعر، قصيدة: نسماتٌ من فردوس النبوة، مؤسسة الانتشار العربي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٢٣م، (ص٩).

(٢) انظر: الحربي، إبراهيم بن إسحاق، غريب الحديث، تحقيق: سليمان إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ، (٧٤٢/٢).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، رقم (٨٠٢٥)، وأبو داود الطيالسي في مسنده، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، رقم (٢٧٩٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم (١٩٠٩)، ومسلم في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، رقم (١٠٨١).

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوجهِهِ ثِمـالُ اليتـامى عِصـمةٌ للأرامـل

قال أبو بكر ﷺ: ذاكَ رسول الله ﷺ[1].

قدَّم الشاعر في هذه الأبيات مدحًا للنبي ﷺ ومزج المدح بإحدى صور الطبيعة الخلابة، فبدأ المدح بوصف محبة جميع المخلوقات للنبي ﷺ حتى الأماكن الجامدة تشتاق لقرب سيد الخلق، ثم يُورد الشاعر صورة الغمام ليُكسبه حضورًا مع المديح، وكأنه يصف صورة بصورة، فيطلب من المتلقي الصلاة على النبي ﷺ عند رؤية الغمام في السماء، وكأنه يقول للمتلقي بأنَّ الغمام يشبه النبي ﷺ في أكثر من صورة، فالغمام يدل على النماء والخير؛ لأنه يحمل المطر؛ فبحدوث المطر يحصل الخير، كصورة النبي في حمله رسالة الهداية للبشرية جميعًا ورسالة الرحمة، أي الإسلام، فاستطاع الشاعر أن يوظف الغمام مع المديح، كما أنه يُريد تشبيه النبي بالغمام في صورة الكرم والجود؛ لأن النبي كان أجود الناس وأكرمهم، كذلك الغمام يحمل الخير فهو يجود بالخير على الناس، وهي صورة مناسبة لمديح النبي ﷺ.

ومن الأمثلة على ذلك قول المتنبي:

أيـنَ أزمعـتَ أيُّهـذا الهمـامُ نَحْنُ نبتُ الربا وأنتَ الغَمَامُ[2]

ويقول فيصل آل صالح أيضًا[3]:

وأُورِي شَمسَـهُ بـدماءِ قَلبِـي ليَعْـرَى مـن ظلامِهـم الطَّغَـامُ

فقد أقْذَى عُيُونَ الحقِّ قومٌ مُؤَدلجَـةٌ ضـمائرُهُم نِيَـامُ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، (١٧٩/١)، رقم (٢٥).

(٢) انظر: الواحدي، أبو الحسن، شرح ديوان المتنبي، (ص١٩٣).

(٣) آل صالح، فيصل، ديوان فتنة الشعر، قصيدة: نسماتٌ من فردوس النبوة، (ص١١).

ظـلالُ غُـرُورِهِم غطَّـتْ حُقُـولًا تريـدُ الشـمسَ فـازدهر السَّـقَامُ

هنا يوظف الشاعر عنصرًا آخر من عناصر الطبيعة السماوية، وهو الشمس، في غرض ديني، وهو مدح النبي ﷺ والدفاع عنه والذبُّ عن رسالته، وهنا يظهر الترابط والاتصال بين عنوان القصيدة: نسمات من فردوس النبوة (الجملة المنطلق)[١]، والمضمون (الجملة الهدف)[٢].

يُورد الشاعر عنصر الشمس في البيت الأول في وصف رسالة النبي ﷺ فكأنَّ رسالته هي شمسُهُ التي يذودُ الشاعر عن إشراقها وضيائها، حتى يوقدها ويشعلها بدماء قلبه، ووظفه في البيت الثالث في وصف الرسالة أيضًا؛ حيث شبَّه حاجة البشر إلى الرسالة، كحاجة حقول الزرع إلى الشمس، وجعل حجبَ الطغاة من أعداء الإسلام الناسَ عن الرسالة، كتغطيةِ ظلال غرورهم وتكبرهم للحقول وحجبها عن الشمس، ويتبين مما تقدم عناية الشاعر بتوظيف مكوّنات الطبيعة السماوية في هذه القصيدة، وما تضمَّنَه هذا التوظيف من دلالات دينية، كما يظهر أيضًا في الأبيات السابقة حضور شخصية الشاعر بوضوح، وذلك في قوله (وأوْري)، (بدماء قلبي)؛ إذ ياء المتكلم تُضفي على النص حضورًا لذات الشاعر، وتعطيه مساحة لنقل أبعاد شخصيته وملامحها من خلال النص.

---

(١) عنوان العمل الأدبي في تصور السيميائيين هو تجميع مكثف لدلالات النص، ويتحول العنوان إلى الجملة المنطلق، ثم يتناسل النص عبر تشاكلات وتقابلات عدة ليمر على الجملة الرابطة. انظر: مفتاح، محمد، دينامية النص، المركز الثقافي، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م، (ص١٠٣).

(٢) تتلاقى آليات جمل النص الأدبي في الجملة الهدف التي تتموقع في نقطة ما من النص. انظر: مفتاح، محمد، دينامية النص، (ص١٠٣).

ويقول فيصل آل صالح أيضًا[١]:

رسولَ الله نشهدُ كلَّ فرضٍ بِمَا شَهِدَ المؤذِّنُ والإمامُ

بِفِردَوسِ النُّبُوّةِ أنت بَدْرٌ رؤوفٌ، لا يُفارِقُهُ التَّمَامُ

وظَّف الشاعر هنا، مخاطبًا النبي ﷺ، عنصرًا من عناصر الطبيعة السماوية، وهو البدر، والبدر هو القمر في طور التمام والكمال، فقد جعل الشاعر النبي ﷺ كالبدر يضيء الحق للناس برسالته ونبوته، كما أنه كاملٌ كالبدر لا يفارقه التمام.

ويقول محمد أبو شرارة[٢]:

نُزاحمُ الشمسَ بالنورِ الذي خُتمت به الرسالاتُ، نورِ المصطفى العربي

حتى ملَأْنَا فضاءَ الأرض مَرْحَمَةً بخير دينٍ حواهُ أشرفُ الكُتُبِ

وظَّف الشاعر محمد أبو شرارة هنا أحد عناصر الطبيعة السماوية المعروفة، وهي الشمس، وهذا المقطع من القصيدة يمدَح فيه الشاعر رسالة النبي محمد ﷺ، ويُثني على النبي ﷺ بأن النور الذي جاء به هو النور الذي خُتمت به الرسالات وملأ خيره الأرض، فرسالته خير الرسالات، والكتاب الذي نزل عليه هو أشرفُ الكتب، وقد جعل الشاعر نور هذه الرسالة في هدايتها للناس وإضاءتها سبيلَ الحق والخير إليهم، كأنه يزاحم نور الشمس في إشراقها وضيائِها ونفعِها للخلق، ونلاحظ كثرة استعمال الألفاظ ذات الدِّلالات الدينيَّة في المقطع، مثل (الرسالات)، و(المصطفى)، و(مرحمة)، و(دين)، و(الكُتُب).

---

(١) آل صالح، فيصل، ديوان فتنة الشعر، قصيدة: نسماتٌ من فردوس النبوة، (ص١٦).

(٢) أبو شرارة، محمد، ديوان السَّماوي الذي يُغنِّي، قصيدة: نقشٌ على ذهب النيلَيْن، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠١٨م، (ص٢٦).

ويقول زاهر بن عوّاض الألمعي[١]:

زَمْجَرَ الرَّكبُ في مراقي الفضاءِ واعتلى الفِكْرُ شامخًا بالضِّياءِ
وانطوى هيكلُ الدياجي فباتتْ شعلةُ النورِ رايةَ النُّجَبَاءِ
ليتَ شِعْري من أي برجٍ أطلتْ أَنْجُمُ الكونِ والعُلَى والبناءِ
ليتَ شِعْري من أين منطلق النو رِ الذي كان آيةً في البهاءِ
إنَّ إشعاعَ دعوةِ الحقِّ قَدْ شَا ءَ الإلهُ خلودَه في البقاءِ
أيُّها المسلمونَ قد أصبحَ اليَوْ مَ شعاعًا مبشرًا بالهناءِ
فارتقُوا في معارجِ المجدِ وابْنُوا مِنْ صروحِ السلامِ نهجَ إخَاءِ
يا رجالَ الإسلام أحيُوا علومًا من تراثٍ مُهذَّبِ الآراءِ
جدِّدوا في العلومِ مِنْ كلِّ فنٍّ واستنيروا بشِرْعَةِ الأنبياءِ
سبقَتْنا إلى الفضاءِ شعوبٌ واستطارتْ على ذُرَى الأرجاءِ

جاءت هذه القصيدة لتكشف عن حدوثِ ضجة حول غزو الفضاء وإنكار بعض الناس لهذا التقدم العلمي آنذاك، ومن أجل ذلك نجد أن أبيات القصيدة مشبَّعة بمفردات الطبيعة السماوية، كـ(الفضاء)، و(الأبراج)، و(الأنجم)، وما يُحيط بذلك ويصدر عنه من الضياء والنور وأشعة الأجرام الكونية، كما يظهر أيضًا استعمالُ الشاعر لأحد مصطلحات الطبيعة السماوية المعاصرة، وهو الفضاء بمعناه المعاصر، لا المعنى المعجميّ اللغويّ.

وتَبرز الدِّلالات الدينيَّة لمكوّنات الطبيعة السماوية في هذه القصيدة، في غرض الشاعر الرئيس من قصيدتِه، وهو حثُّ أبناء الإسلام على الأخذ بأسباب العلوم

(١) الألمعي، زاهر بن عواض، ديوان الألمعيات، قصيدة: مراقي الفضاء، (ص١٧، ١٨).

وإحيائها من جديد؛ ليواكبوا تقدم حضارات الأمم الأخرى التي سبقَتْهم إلى الفضاء؛ حيث يرى الشاعر أن دعوة الإسلام هي شعلة النور وكانت منطلقَ الحضارة والعلوم.

وقد استطاع الشاعر أن يوظف عناصر الطبيعة السماوية في هذا النص بسلاسة وبطريقة منسابة يؤلِّف بها بين مفردات هذه الطبيعة وبين أغراضه الدينيَّة، كما نجد أن عنوان القصيدة، وهو (مراقي الفضاء) مرتبطٌ بشدةٍ بالمضمون، وقد وظَّفه الشاعر في القصيدة وانطلق منه في البيت الأول (الفاتحة النصَّية؛ حيث قال: زمجر الرَكْبُ في مراقي الفضاء، وبه يتضح أن العنوان هو نصٌّ في حد ذاته، وبقية المقاطع ما هي إلا تفريعات نصيَّة تنبُع من العنوان الأم، والعَلاقة بين الفروع والعنوان ليست علاقة اعتباطية، وإنما هي علاقة طبيعية منطقة، فهي علاقة انتماء دلائل.

وبتأمُّل أبيات القصيدة كاملة تتضح لنا هذه الظاهرة بقوة، فجميع الأبيات، وما نجده فيها من توظيف لعناصر الطبيعة السماوية، تنتمي إلى عُنوان القصيدة الرئيس وتتصلُ به دلاليًّا.

ويقول الشاعر أيضًا[1]:

فالبدارَ البدارَ يا أمة المجْـ ـــدِ وهيَّا لوَحْدةٍ وإخاءِ
اصْرخي في بنيكِ أحفادِ سعدٍ والمثنَّى وخالدِ العلياءِ
وابعثي في شبابك الْمُثُلَ العُلْـ يا لِتَرْقَي معارجَ الجَوْزَاءِ

يستنفر الشاعر بهذه الأبيات أبناء الأمة للأخذ بأسباب المجد، والاقتداء بالمثل العليا من أجدادهم العظماء، ونجدُ الأبيات مملوءةً بدلالات دينية، واستحضارٍ لنماذج إسلامية تاريخية للأسوة والقدوة، من صحابة النبي ﷺ، كسعد والمثنَّى وخالد، وقد وظَّف الشاعر في الأبيات أحد مكوِّنات الطبيعة السماوية، وهو (الجوزاء)، وهو برج من

(١) الألمعي، زاهر بن عواض، ديوان الألمعيات، قصيدة: مراقي الفضاء، (ص٢٠).

أبراج السماء، وهو من عناصر الطبيعة السماوية المستعملة بكثرة في الشعر العربي، القديم والحديث.

وقيل سُميت بالجوزاء؛ لأنَّها تعترض جوزَ السماء أي وسطها[١].

ونجد أن أسلوب الشاعر في هذه القصيدة يغلِبُ عليه الطابَعُ الحماسي، وهي سِمة غالبة على الشعر الديني، وهذه القصيدة وإن لم تكن شعرًا دينيًّا محضًا، إلا أنها مُشبعة بدلالات وملامح دينية كما تقدم، وقد تمكن الشاعر أن يجمع في قصيدته بين الحاضر والماضي، والقديم والجديد، مع الحفاظ على سلاسة الأسلوب ووضوح المعاني.

ويقول زاهر بن عوّاض الألمعي أيضًا[٢]:

وفي (البيت) العتيقِ عَلَا هُتافٌ يناشدُكَ المثوبةَ والمتابا

وقد عَبِقَ الأريجُ وكانَ مِسْكًا وعمَّ القاعَ واعتنقَ السَّحَابَا

وفي رُكْنِ (الحطيم) له ائتلاقٌ يفوح تضوعًا لِمَنِ استطابَا

لجأ الشاعر هنا إلى أحد عناصر الطبيعة السماوية، وهو السحاب؛ حيث وظَّفَه في تصوير مشهد الحج العظيم، وهو مشهدٌ له دلالاتُه الدينيَّة المتنوعة، فصوَّر الشاعر رائحة المسك والعطر والطيب الذي تفوح في هذا المشهد من الحجاج أثناء تلبيتِهم في البيت العتيق، وهي الكعبة، بأنها تفوحُ حتى تعمَّ الأرض وترتفع إلى السماء حتى كأنَّ عبقَها يعانق (السحاب) في ارتفاعه وانتشاره وفوحانه.

---

(١) انظر: ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، (٤٧٣/١).

(٢) الألمعي، زاهر بن عواض، ديوان الألمعيات، قصيدة: مؤتمر الحج الأكبر، (ص٣٧).

ويقول أيضًا[١]:

لقد شَرَعَ الجهادُ لكم طريقًا إلى العلياءِ إن شِئْتُم ذَهابَا
هو العزُّ الذي لا ريبَ فيه لمن لَزِم الشريعةَ والكتابَا
لقد سادتْ به الأسلافُ قِدْمًا وكادت من ذُرى النَّجم اقترابَا

استخدم الشاعر هنا عنصرًا سماويًّا، وهو النَّجم؛ حيث يتحدث في هذه الأبيات عن الجهاد، ويُحرِّض الأمة عليه، ويبين أن عِزَّها ومجدَها في القيام بحق هذه الشعيرة، وأن سيادة أسلاف وأجداد الأمة قديمًا لم تتحقق إلا بأداء هذه الفريضة، فقد ترقَّتْ في منازل المجد والسُّؤدد حتى علت الأمم، وكادت أن تقترب علوًّا وارتفاعًا من (النجوم).

ويقول أيضًا[٢]:

فدائِيّي فلسطينَ امتطيتُمْ خُطوبًا في ملاحمها صلابا
و(فتحٌ) قد تسامقَ في ذُرَاهَا ليوثٌ تَجْعَلُ الميدانَ غَابَا
وفي راياتها قَبَسٌ مُضِيءٌ شهابٌ حيثما يُلقي أصابَا

استعمل الشاعر هنا أحد ظواهر الطبيعة السماوية، وهو الشهاب، ومادة (شَهَبَ) تنصرِفُ إلى أصل يدل على بياض يخالطه شيءٌ من سواد، فلا تكون الشُّهبة خالصةً بياضًا، ومن ذلك الشُّهبة في الفرس، وهو بياض يخالطه سواد[٣].

والشهاب هو الشعلةُ الساطعة من النار، ويطلق أيضًا على النَّجم المضيء

---

(١) الألمعي، زاهر بن عواض، ديوان الألمعيات، قصيدة: مؤتمر الحج الأكبر، (ص٤٠).
(٢) المرجع السابق، (ص٤٢).
(٣) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (ص١٥٠).

اللامع، والمقصود هنا في البيت هو ظاهرة من ظواهر الطبيعة السماوية تحدث عند دخول جِرم سماوي يسبح في الفضاء، في جو الأرض، فيشتعل ويصير رمادًا[١] مكونًا مشهَدًا رائعًا استخدمه الشاعر؛ فوظَّف الشاعر في البيت هنا الشهاب في مدح حركة (فتح) إحدى حركات المقاومة الفلسطينية؛ حيث شَبَّهَهم بأنهم كالأسود فإذا نزلوا الميدان صار كالغابة المزدحمة بالأسود، ثم استعمل العنصرَ السماويَّ الشهاب في هذا المدح؛ حيث جعل راياتِهم في إضاءتها كالشهاب المضيء في إصابته الغرضَ، فاستطاع الشاعر أن يجعل من صور الطبيعة صورة واقعية للمقاومة القوية وضوئِها اللامع في المعركة، من خلال توظيف الشهاب السماوي أحدِ عناصرِ الطبيعة السماوية.

ويتَّضح من النص مدى قدرة الشاعر الإبداعية، وسعة معجمه اللغوي، في التنقل بين التراكيب والمفردات، والقدرة على توظيف الاستعارات والتشبيهات في خدمة أغراضه الفنية الشعرية، وبتأمُّل النص نجد أنه مُطعَّم بمفردات وألفاظ لها دلالاتها الدينيَّة، كـ (البيت العتيق)، و(المثوبة)، و(المتابا)، و(الحطيم)[٢]، و(الجهاد)، و(الشريعة)، و(الكتاب)، وتمكن الشاعر من أن يُدخل بين ثناياه مفردات الطبيعة السماوية.

كما نلاحظ توظيف الشعراء السعوديين لعناصر الطبيعية في شعر الزهد، والتوبة، أو التقرب لله تعالى، وذلك استشهادًا بعناصر الطبيعة؛ التي هي من

---

(١) انظر: مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، (٤٩٧/١).

(٢) هو المكان الذي فيه الميزاب، ويقع في البيت الحرام بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم، وقيل: سمي بذلك؛ لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان، ويستجاب فيه الدعاء على الظالم للمظلوم. انظر: الأزرقي، محمد بن عبد الله، أخبار مكة، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت، (٢٣/٢).

مخلوقات الله تعالى، فعلى سبيل المثال يقول إبراهيم علي الحملي، في قصيدته بعنوان "ثبور":

يحفِر الليل
يبحثُ في عَتْمة الاتجاهات
عن خَيْطِ نور
***
بعثُ للريح كفارتي
والقرابينَ في وَجْهِ ذَنْبِي
تَثُور
صاحَ بي:
ليس تَعمَى العيون ولكن..
عن الصبحِ
تعمَى القُلوبُ
التي في الصدور[1]

فالشاعر قد وظَّف من مظاهر الطبيعة السماوية (الليل، والريح، والصبح)؛ دِلالة على الرغبة في الوصول إلى نور الإيمان، فالقصيدة بعنوان: "ثُبور" وهو الهلاك أو الويل، فالشاعر يحاول النجاة في صلواته من ذلك الهلاك، والقلب ضائعٌ في ظلمة الليل يقاسي الذنوب، ينوي التوبة والكفارة ثم يعود فيها، وكأنه قد ابتاعها للريح؛ كناية عن العودة إلى ما كان عليه.

(١) الحملي، إبراهيم علي، ديوان يستوون، قصيدة: ثبور، ص١٤.

الخلاصة:

نلحَظُ من خلال عرض النماذج السابقة للشعر السعودي أن الشعراء استطاعوا أن يُوظِّفوا عناصر الطبيعة في أغراض الشعر الدينيَّة المتنوعة، فنجد أن غرض المدح جاء كثيرًا وكان في مدح النبي ﷺ، فربط الشعراءُ مدحَ النبي ﷺ بصُور الظواهر الطبيعية والعناصر الكونية، كالقمر وصورته والشمس والنجوم، فأبدع الشعراء في توظيف تلك الصُّور؛ لإظهار صفات النبي ﷺ وبيان مدحه كصفة الهداية والنور كما في القمر والنجوم، وصفة الجود والكرم كما في الغمام، فاستمدُّوا تلك المعاني من صور الطبيعية ومظاهرها.

كما نرى غرضًا آخر وظَّف فيه الشعراء عناصر الطبيعة وهو شعر الحماسة والحث على الجهاد، فنجد أنَّ الشعراء استعملوا صور الطبيعة لتصوير الحماسة والدعوة إلى الجهاد، فاستخدموا صورة الشهاب المضيءِ، كما صوَّروا صورة الأسود في الغابة بجنود المقاومة الفلسطينية، فنجح الشعراء في توظيف تلك العناصر مع الأغراض الدينيَّة.

المبحث الثاني: الدِّلالات الرمزية

يعبر مصطلح (الرمزية) عن "الإيحاء، أي: التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستمرَّة التي لا تقوم على أدائها اللغة في دلالاتها، فالرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح"[(١)].

ومن الدِّلالات الرمزية التي نتناولها في الشعر السعودي، "الدلالة اللفظية، وهي الدِّلالة الظاهرة التي تُفهم من ظاهر اللفظ، والدلالة المعنوية وهي الدِّلالة التي ترتبط بالمعنى المرادِ إيصالُه للمتلقي"[(٢)]، كاستعمال الدم رمزاً للقتل، والميزان رمزاً للعدالة.

تتمثل الدِّلالات الرمزية في استعمال مكوِّنات الطبيعة السماوية في الدِّلالة على بعض المعاني والصور المتصلة بهذه المكوِّنات، كاستعمالِ المطر رمزاً للخير والكرم والجود والرحمة والأمل والانبعاث والبكاء، واستعمالِ الغَيم في التعبير عن الحزن والكآبة والألم، واستعمالِ النجوم في الدِّلالة على المدح والغزل ومعاني العلوِّ والسمو، واستعمالِ الشمس في الدِّلالة على المدح والغزل والنفع والخير، واستعمال الرعد في الدِّلالة على الخوف والفزع وعلى الضحك، واستعمالِ البرق في الدِّلالة على السرعة وعلى الحنين وعطف الأحبة وأحيانًا في عكسه كالخداع وخُلف الوعد، واستعمال السحاب في الدِّلالة على الكرم وعلى البشارة والإخصاب والنماء والنعيم، واستعمالِ الشهب في الدِّلالة على الحرية وعلى العلو والقوة وشدة البأس وعلى الزينة والضياء الذي يُزيل العَتمة والظلام، وتطورت الدِّلالات الرمزية للطبيعة السماوية في الشعر

---

(١) هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٥٣م، ص٢٩٨.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، ١٩٥٢م، (ص١٤٤).

المعاصر، فاستُعملت المجرَّات للدِّلالة على الاتساع والعلو والارتفاع والحركة والمدح.

كما أن هناك رمزياتٍ طبيعيةً ثابتة قد وُجدت في جميع عصور الشعر العربي مثل الليل والنهار؛ والتي مَثَّلت رمزية للنور والظلام، أو الهداية والظلام، أو التباين بين الخير والشر، واستُخدمت العواصف لتمثل الصعوبات في الحياة أو الكوارث والمصائب، كما استُخدمت الشمس للدِّلالة على السطوع أو النجاة أو الهداية والإنارة، كذلك استُخدمت ألفاظ الضوء والظل رموزاً للحقيقة والغموض والخفاء، واستُخدمت النجوم للدِّلالة على الذكر الواسع أو الشهرة وذيوع الصيت، وغيرها من الصُّور الرمزية التي استُخدمت في الشعر.

وفيما يلي تتناول الباحثةُ الدِّلالات الرمزية للطبيعة السماوية في مجموعة من النماذج الشعرية لبعض شعراء الجنوب السعودي المعاصرين.

يقول عبد الرزاق بن حمود الزهراني[(١)]:

يا منبعَ الخيرِ يا قتَّالةَ الحسد يا مَن أعزُّ على نفسي من الولدِ
يا موطنَ العدلِ يا نَجمًا تَأَلَّقُهُ فاقَ النجومَ وعن مجراهُ لم يَحِدِ
قد عَمَّ خيرُك أرضًا لا حدودَ لها فالصَّحْبُ في نعمةٍ والأهل في رغَدِ
يا مَهْبِطَ الوحيِ يا أرضًا تفرُّدها بالمسجدَيْنِ وبالتوحيدِ والرشَدِ

كتب الشاعر هذه القصيدة في مَدْح الوطن ووصف محاسنه وذكر خَيْراته وما تفرَّد به، فقصيدته تُعَدُّ من القصائد بسيطة الأغراض التي تشتمل على مدحٍ صِرفٍ، والمدح هنا لوطن الشاعر. وإذا اتضح للشاعر غرضه ومقصوده من شعره ابتداءً، استطاع أن يُوظِّف جميع العناصر والأدوات اللازمة لخدمة هذا المقصد؛ إذ (القصدية)

---

(١) الزهراني، عبد الرزاق بن حمود، ديوان الضمائر الغائبة، قصيدة: بلدي، مطابع سمحة، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، (ص٥).

تُحدد كيفية التعبير والغرض المتوخَّى، وهي البوصلة التي توجه تلك العناصر وتجعلها تتضامن وتتضافر وتتجه إلى مصدر عامٍ[١]، فالْمَقْصِدية تُحدِّدُ اختياريًّا الوزن والألفاظ الملائمة وتركيبها بطرق معينة لتؤدي المعنى المتوخَّى.

ومن ثمَّ نجد أن الشاعر قد وظَّف في البيت عنصرًا من عناصر الطبيعة السماوية اللائقة بغرضه الشعري، وهو (النجوم)، وهو من العناصر السماوية التي يُرمز بها للسموِّ والعلوِّ والتألق والارتفاع، واستعمال الرمز هنا في هذه الأبيات يخلق جوًّا من الإيحاء وصورًا رومانسية من الأحلام تؤثر في المتلقين، فالشاعر رَمَزَ للوطن بـ(النَّجم)، وجعله في تألقه يفوقُ النجوم ارتفاعًا وسموًّا وعلوًّا، وأنه بفرض خروج النجوم عن أفلاكها ومداراتها فإن هذا الوطن لا يَحيد أبدًا عن مجراه في الرفعة والخير والعدل.

ويقول محمد بن أحمد العقيلي[٢]:

قلمٌ هززتُ به يميني فانبرَى ... كالبرقِ في متلاطم الأحلاكِ

لمعٌ يُضِيءُ على مشاعلِ نهضةٍ ... لطلائعِ الأجْيَالِ فوق ثَراكِ

وترٌ يَرِنُّ بمَسْمَعِ الدنيا له ... نغمٌ يُرَدِّدُه الزمانُ وفاكِ

ولقد نظرتُ إليكِ نَظْرَةَ شاعرٍ ... سامي الخَيَال مدَلّهٍ بهواكِ

يرعى شواطئك الجميلة هاتفا ... ومغردا بجمالها، ورؤاك

يجلو المساءُ على بحارِكِ فتنةً ... رَقَصَتْ لها الأمواجُ فوق رباكِ

وَهَجًا من الشَّفَقِ المذهَّبِ قَدْ جَرى ... تِبرًا يشعُّ على سماءِ فَضَاكِ

---

(١) انظر: مفتاح، محمد الغزواني، في سيمياء الشعر القديم: دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م، (ص٥٣).

(٢) العقيلي، محمد بن أحمد، المجموعة الشعرية الكاملة، قصيدة: جازان، (ص٣٢٧).

يصف الشاعرُ قلمه الذي يخطُّ به شعره في مدح بلده (جازان)، بأنه ينطلق كـ(البرق) في سرعته وإضاءته للعتمة والظلام، وهو توظيف رمزي لعنصر من عناصر الطبيعة السماوية، ويخاطب الشاعر بلده (جازان) في بداية القصيدة، فيقول:

(جازان) إني من هواكِ لشاكِي فتنصَّتي لهزارك وفتاكِ[١]

ثم يمضي الشاعر في مدح (جازان) والإشادة بها، وُيوظِّف الشاعر أثناء ذلك بعض مكوّنات الطبيعة السماوية، وهي: ظاهرة (الشفق)، وعنصر (السماء)، وتبرز الدِّلالة الرمزية هنا في تصوير الشاعر للمظهر الجمالي لظاهرة (الشفق) في سماء (جازان)؛ حيث يظهر الشفق في لمعانه ولونه المائل إلى الصُّفرة، وكأنه تِبرٌ (ذهبٌ) مشعٌّ في الفضاء السماوي لـ(جازان)، ونجد أن عنوان القصيدة، وهو (جازان)، يدل بدقة على موضوع القصيدة الرئيسي، وهو تعبير الشاعر عن حبه لبلده (جازان) وتغزُّلِه بها ووصفه لمآثرها، وهذه سمة فنية تتميَّز بها قصيدة الشاعر؛ إذ العنوان في أي نص أدبي ينبغي أن يكون بمثابة المفتاح الإجرائي الذي تنفتح به مغاليقُ النص.

فالعنوان يُثير في العمل الأدبي التساؤلات التي يجيب عنها (النص الشعري)، فهو نظام سيميائي ذُو أبعادٍ دلالية سيميائية تنبُع من كونه يجسِّد أعلى اقتصاد لغوي ممكن، يوازي أعلى فعالية تلقٍّ ممكنة تغري الباحث والناقد بتتبع دلالاته مستثمرًا منجزاتِ التأويل[٢].

وقد أدى العنوانُ في هذه القصيدة وظيفتَه بالفعل، لاسيما مع تضمين الشاعر للعنوان مرة أخرى في (الفاتحة النصية) في البيت الأول، ويتجلى هنا أن اعتماد الشاعر على الرمز الأدبي – بوصفه ظاهرة جمالية تباشر الفضاء الشعري وتثري

---

(١) المرجع السابق، (ص٣٢٥).

(٢) انظر: قطوس، بسام موسى، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، (ص٦).

صُوَرَه فنيًّا وتَزيدها جمالًا – لم يشكِّل هذا الاعتماد غموضًا وإبهامًا عند المتلقِّي؛ لقرب ووضوح التوظيف الرمزي لعناصر الطبيعة السماوية المذكورة لدى الأذهان. فإن الغموض في الشعر يزداد كلما تباعدت نفسيَّة القارئ وتجاربه عن نفسيَّة الشاعر وتجاربه، وهو ما لا يُوجد في التوظيف الرمزي لعناصر الطبيعة السماوية المستعملة في هذه الأبيات في مثل هذه المعاني المطروقة غالبًا.

ويقول محمد بن أحمد العقيلي أيضًا[1]:

ثَمِلًا بآمالِ الشَّبابِ، وإن غدا مُتَفَطِّرًا من صَبوةٍ وعراكِ

يتعشَّقُ الفجرَ الوضيءَ ويرتوي إشعاعَ نورِ كواكبِ الأفلاكِ

يصف الشاعر هنا في هذه الأبيات قلبَه المتيَّم بحب بلده (جازان)، وقد نجح الشاعر في توظيف أدواته الفنية في هذه القصيدة؛ حيث رمز الشاعر هنا بـ(الكواكب)، وهي من عناصر الطبيعة السماوية، إلى حالة التفاؤل والطموح والسعي التي يبعثها في قلبه حبُّه لبلده (جازان)؛ فإن من دلالات نجاح الرمز في العملية الشعرية الأثرَ الذي يتركه في أداء المعاني.

وهو ما تجلَّى هنا في هذا البيت؛ حيث رمز الشاعر لحالةِ التفاؤل التي يعيشها قلبه بسبب هُيامه وحبه لبلده (جازان) وما تبثُّه فيه من الطموح والإلهام بأن قلبه يتعشَّق الفجر (كناية عن إشراق المستقبل) حتى كأنه يرتوي بين جوانحه إشعاعَ نور (كواكب الأفلاك) التي تلمع في سماء (جازان) فينفذ نورها إلى قلبه مفيضًا عليه معاني الإلهام والطموح والتفاؤل، ومنه نجد أن الشاعر قد تمكَّن من إيصال المعنى الرمزي المراد إلى المتلقي بإشارة سريعة.

---

(١) العقيلي، محمد بن أحمد، المجموعة الشعرية الكاملة، قصيدة: جازان، (ص٣٢٥).

ويقول علي الدميني[١]:

وكم رسمْتُكَ في شرخِ الصِّبا قَمَرًا تلهو الصَّبايا، على خدَّيْهِ، والشفقُ

حتى تيبَّسَ وعْدُ العاشقينَ على غصنِ المشيبِ، فلا صاحٍ ولا أرِقُ

وظَّف الشاعر بعض عناصر الطبيعة السماوية في هذه الأبيات في إفادة دلالات رمزية يعبر بها عن حبه لمحبوبته، والتي شبهها بـ(القمر) في ضيائها وبهائها؛ حيث تلعبُ الصبايا و(الشفق) على خَدَّيه، والرمزُ بـ(الشفق) هنا مضافًا إلى الخدين كناية عن كونهما مشوبَين بالحُمرة فيما يظهر.

ويقول عبد الله بن أحمد الفَيْفي[٢]:

وانتهيْنَا وانْتَهَى دِيوانُنَا كَمْ هِلالٍ لو دَنَتْ شَمْسٌ نَهَشْ!

لا تصدِّقْ حُبَّ لَيْلَى؛ طالما جَرَّعَتْ قَيْسًا بِكَاسَاتِ الغَشَشْ

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن محبوبته التي يَئِس من وصالها وحبها له، فيقول: إن ديوان شعره فيها انتهى عند هذا الحد، عندما أقبلت محبوبته وأخبرته بأنها لا ذنبَ لها في عشقه لها.

وتَبرز الدِّلالة الرمزية هنا في توظيف الشاعر لعناصر الطبيعة السماوية: (الهلال)، و(الشمس)، ويريد الشاعر بقوله: (كم هلال لو دنتْ شمسٌ نهش) أي دقَّ وهزُل، وقد غطَّى ضياء الشمس وإشراقُها عليه؛ إذ القمر يستمد ضوءه من ضوء الشمس، فإذا دنت الشمسُ اختفى الهلال، ويقصد الشاعر بهذه المقابلة إيذانًا باختفاء

---

(١) الدميني، علي، ديوان خَرَزُ الوقت، قصيدة: الصُّبح، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠١٦م، (ص٨٠).

(٢) الفيفي، عبد الله بن أحمد، ديوان إنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِق، قصيدة: رَهَش، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٢١م، (ص٥٧).

وانقضاء قصة حبه لمحبوبته.

وهذه المقابلة التي قسمها الشاعرُ هنا بين التوظيف الرمزي للعنصر السماوي (الهلال)، والتوظيف الرمزي للعنصر السماوي المقابل (الشمس)، تُعَد أنموذجًا للاستعمال الرمزي الحقيقي للغة الشعرية؛ فهي من السمات الفنية الرائعة التي تُعَد معيارًا صوريًّا للشاعرية؛ إذ إنَّ رمزية التعبير في مثل هذه الصورة لا تختلف أصالةً وفنًّا عن الرمزية التجريدية[١]، كما أنها تختلف دلالتها وتتعدَّد من قارئ لآخر.

وفي البيت الثاني يظهر لدى الشاعر استعمال (التَّناص)، والتَّناصُّ هو مجموعة من النصوص تدخل في علاقة مع نصٍّ معين[٢]، فالتَّناص لدى الشاعر والأديب يرتبط بإحالات خارجية، كإحالة على جملة تاريخية مشهورة، أو إحالةٍ على تعبير ديني، أو مَثَل، أو استشهاد أدبي، والتناصُّ هنا يظهر في إحالة الشاعر على قصة (قيس) مجنون (ليلى)، صاحبِ المعلَّقة الشهيرة.

ويقول عبد الله بن أحمد الفَيْفي[٣]:

لقد صَدَقَ الذي سَمَّاكِ (مُهْجَةْ) أَسَالَتْ مِن دِماءِ الوقتِ ثَلْجَةْ

رأيتُكِ كوْكَبًا في الماءِ يَسْرِي بِنَهْرِ (النِّيلِ) والأضواء مَوْجَهْ

وظَّف الشاعر هنا في هذه الأبيات عنصرًا من عناصر الطبيعة السماوية، وهو (الكوكب)؛ حيث رمز لمحبوبته (مهجة) بهذا العنصر، وقد تضافرت الطبيعةُ السماوية المتمثِّلة في (الكوكب)، مع الطبيعة الأرضية المتمثلة في (نهر النيل) في خلق صورة رمزية لمدح الشاعر لمحبوبته؛ حيث شَبَّه الشاعر جمال محبوبته وسحرها ونضارتها،

---

(١) انظر: الجنابي، عناد غزوان، مستقبل الشعر، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٤م، (ص١٢٣).

(٢) انظر: مفتاح، محمد الغزواني، في سيمياء الشعر القديم: دراسة نظرية وتطبيقية، (ص٦٧).

(٣) الفيفي، عبد الله بن أحمد، ديوان إنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِق، قصيدة: مُهجة، (ص٦٥).

بالكوكب الذي يسري في الماء ويَشِع ضوءًا بحيث تكون أضواؤه كالأمواج لهذا النهر.

ويقول إياد الحكمي[١]:

يَلِـجُ الفضـاءَ لينتقـي أشـياءَهُ مـن أيِّ شـيءٍ يَسْـتَمِدُّ فضـاءَه!
ومَضَى يُصفِّي في القصيدةِ ماءَهُ حين استشفَّ الغيثُ منه نقاءَهُ
وينـامُ بـدرًا فَـوْقَ عُشْبِ حروفِـه والسـاهرون يُغـازِلون سـماءَهُ

استعمل الشاعر في هذه الأبيات بعض عناصر الطبيعة السماوية، وهي: (الفضاء)، و(الغيث) وهو المطر، و(البدر) وهو القمر في أكمل أطواره، و(السماء)، وقد كَتب الشاعر هذه القصيدة في مدحِ ووصفِ (الشعراء) بشكل عام، كما يتضح من العُنوان الذي وضعه لها وهو (الشاعر).

وتَبرز الدِّلالات الرمزية في هذه الأبيات في توظيف الشاعر للطبيعة السماوية في خلق صورة يمدح بها شخصية الشاعر وإبداعه؛ حيث جعل الشاعر وكأنه يسافر إلى (الفضاء) لينتقيَ كلماته وأشياءه، كما جعل المطر كأنه شخص استشف نقاء الشاعر فتركه يصفي ماءه في القصيدة، كما رمز للشاعر بـ(البدر)؛ حيث جعله أثناء إلقائه شعره، كأنه بدر نائم فوق عشب حروف أبياته، والناس سهارى يغازلون (سماء) الشاعر.

ويقول حسن محمد الزهراني[٢]:

شعري كَوَبْلِ السماءِ العذبِ منهمرٌ يُطْفِي بطُهْرِ المعاني لَوْعَةَ الصَّادِي

---

(١) الحكمي، إياد، ديوان على إيقاع الماء، قصيدة: دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٢م، (ص٦).

(٢) الزهراني، حسن محمد، ديوان هات البقية، قصيدة: صباح الشعر، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠١٣م، (ص١٠).

فغـرِّدي بـأرقِّ الشِّـعر وانطلقـي في سحرِهِ الطَّلْقِ يا عصفورةَ الوادي

وظَّف الشاعر في هذه الأبيات عنصرين من عناصر الطبيعة السماوية، وهما (المطر) المعبَّر عنه بـ(الوبل)، و(السماء) المضافة إلى المطر، وتبرز الدِّلالة الرمزية لهذا التوظيف في وصف الشاعر لشعره بأنه يشبه (المطر) النازل من (السماء)، في سلاسَتِهِ وانهماره ونزوله بالخير والنفع، كأنه بشعره إذ يبرد ظمأ الناس إلى المعاني الطاهرة، كالمطر الذي يُطفِئ لوعةَ اللاهث العطشان.

ويقول إبراهيم علي الحملي[1]:

صرعتُنا على المحك

تمادتْ

فاستحلَّتْ قداسةَ الشمس

أضحتْ

وانكسارَ الضياء

خَصمَيْن

تدنُو

من غفلةِ الأوهام

تخسِفُ بالنور

وتُدَنِّسُ في صقيع المشاعر

فنرى الشاعر في الأبيات قد استخدم رمزًا من رموز الطبيعة، وهو من الرموز القديمة المقدسة؛ حيث يقول: (فاستحلتْ قداسةَ الشمس)؛ وتُعَدُّ الشمس من رموز

---

(١) الحملي، إبراهيم علي، ديوان يستوون، قصيدة: سبب، (ص٢٠).

الطبيعة التي تحتل مكانة كبيرة في العديد من الثقافات والأساطير الشعبية للعديد من الأمم.

ويقول حسين الصميلي[١]:

سـألَتْنِي مـا الـذي غَيَّرَنِـي كيـفَ أمسـيتَ غريـبَ النَّظَـرَاتِ

سـألَتْنِي والأَسَـى يعصِـفُ بـي مثـلَ إعصـارٍ إلـى كـلِّ الجهـاتِ

والعـذابات جراحـي ودمـي كيف لـي أنفك مِن هذا الممـاتِ

تَبرز الدِّلالة الرمزية في الأبيات في توظيف الشاعر ألفاظ (العاصفة، والإعصار) للدِّلالة على الحزن والألم، وتغيُّر الحالة إلى الشدة والغضب؛ حيث ترمز العرب كناية عن شدة الغضب، أو تغير الحال من الطبيعة إلى الشدة والضيق بالإعصار أو العاصفة؛ وذلك لأنَّها تُحَوِّل الطبيعة والكون من حالة الهدوء والسكون إلى حالة الاضطراب والهيَجان، فشبه الشاعر نفسه باضطرابه وتغير حاله حيث يعصف الأسى بنفسيته، يجعله يقاسي الألم والعذاب والجراح، فجعله كالإعصار الذي يُدمر ما أمامه، بما جعل المحبوبة تتساءل عن تغير حاله، فأصبح غريب النظرات.

الخلاصة:

من خلال النظر في النماذج السابقة نلاحظ سَلاسَة وبراعة الشعراء في توظيف مظاهر الطبيعة، والإشارة بها إلى الصُّور والصفات المعنوية، في صورة رمزية سهلة وواضحة.

فنجدهم قد استخدموا صورةَ المطر للتعبير عن سلاسةِ وانهمار الشعر، ونزوله بالنفع والخير، وصورة الكواكب للتعبير عن ذُيوع الصِّيت والشهرة، وغيرها من الصُّور

---

(١) الصميلي، حسين، ديوان سنبلة في فم الريح، قصيدة: تساؤل، (ص٢٨).

الرمزية الطبيعية.

إنَّ الصورة الرمزية التي أجاد الشعراء في استخدامها، هي أحد عناصر التصوير القديمة التي كانت موجودة عند كثير من الشعراء في العصور السابقة، فاتخذ الشعراء الصورة الرمزية كعنصرِ تصويرٍ مُهم في إيضاح رؤية الشاعر العاطفية أو الخيالية التي يعيشها في تجربته، فالرمز الطبيعي يضفي على العاطفة نوعًا من الإيحاء والواقعية التي تُشبع رغبة القارئ في تخيل الصورة المستمَدَّة من الواقع، فبدايةً مِن العصر الجاهلي حتى العصر الحديث كانت ولا زالت الصورةُ الرمزية أحدَ عناصر التصوير المهمة في تصوير العواطف والأغراض المختلفة، فهناك شعراء تغنَّوْا بالطبيعة واتخذوا صورها عاطفة تحرّك نفوسهم نحو الخيال، بل وُجدت الكثير من هذه الصُّور في الأدب العربي، وخاصة الشعر الرومانسي، والأندلسي؛ الذي اتسم بأنه شعر الطبيعة، والذي استخدمه الشعراء في العديد من الأغراض منها الرمزية، والدينيَّة، والوصفية.

المبحث الثالث: الدِّلالات العاطفية

توطئة:

تمتلك المملكة العربية السعودية بخاصة منطقة الجنوب طبيعة خلابة؛ حيث تمتزج مكوِّنات الطبيعة هناك لتكون لوحة فنية، وهو ما أثَّر في شخصية ساكنيها، وبخاصة شعراء الجنوب؛ حيث يمتلكون شخصية إبداعية متفردة عن غيرها في التركيب والصور والبناء.

والطبيعة السماوية ليست بمعزِلٍ عن هذه الخاصية، بضرورة تضافرها وانسجامها مع طبيعة البيئة والمكان. إن جمال الطبيعة يفرض على الشاعر حالة من الرومانسية، وهذه الحالة التي تتلبَّسه تفرض عليه الرؤية واللغة والصورة، وكما يقول جوته: لا يستطيع أحدٌ أن يقول: أين تتوقف الطبيعة، وأين بدأ الفن والصنعة من يد الإنسان؟ فللطبيعة قدرتها الفذة على إضفاء الحب والحياة على قلب الشاعر وقلمه.

إنَّ مَن يتأمل النِّتاج الشعري لمبدعي منطقة الجنوب، في المملكة العربية السعودية، يقف مشدوهًا أمام استحضار الشعراء للطبيعة السماوية وتوظيفها في موضوعاتهم وأغراضهم الشعرية المختلفة، وما يتضمنه ذلك من دلالات عاطفية ورومانسية وشعورية، ويجد نفسه أمام شعراء يتملكهم حبٌّ هذه الطبيعة والبيئة التي عاشوا فيها، ويَسكنهم الوطن كما يسكنونه، ويطغى على شعرهم دَفْق المشاعر نحو مكوِّناته وعناصره الطبيعية، أرضِه وسمائه، فمن جاذبية الأرض إلى جاذبية الفضاء السماوي بأقماره ونجومه وكواكبه وغيومه الحُبلى بالمطر[(١)].

---

(١) انظر: صبح، علي مصطفى، المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة السعودي، الناشر تهامة، ط١، ١٩٨٤، (ص١٧).

والطبيعة الخلَّابة التي خلقها الله مليئة بالمشاهد المؤثرة التي توثر في نفس الشاعر، والطبيعة السماوية كأحد أبهى صور الطبيعة بشكلٍ خاصّ، لها آثارٌ عظيمة على روح الشاعر، وعلى إبداعه الفني الذي يروم تأثيره في أرواح المتلقِّين؛ فالشاعر يسعى منذ القدم للوصول إلى الروح الإنسانية، بكل ما أوتي من إمكانات متاحة، فنية وحسية ورومانسية عاطفية، ومن أجل ذلك وظَّف الشعر والطبيعة لا من أجل التغنِّي ببهائها وجمالها فحسب، وإنما لتصوير النمط الإنساني المتفرد المتصادم مع الفضاءات الكونية ومع الوسط الاجتماعي بحيث يكون وصف الطبيعة – كما يقول بروكلمان – بمثابة منظرٍ أساسي بهيجٍ لتصوير الإنسان نفسه وأعماله(١).

وإذا نظرنا في النتاج الشعري السعودي المعاصر، لاسيما في الجنوب، نجد حضورًا طاغيًا للطبيعة عمومًا، والطبيعة السماوية خصوصًا، من خلال توظيف هذه المكوِّنات والعناصر الطبيعية في التعبير عَما يكنُّهُ الشاعر من حبٍّ أو حالاتٍ شعورية عاطفية تجاه البشر، كالمحبوب، والقريب كولد أو والد، أو البيئة والمكان، كالشعر النابع من محبة الوطن والتغني بمكانته وجماله.

وفيما يلي تتناول الباحثةُ الدِّلالات العاطفية للطبيعة السماوية في مجموعة من النماذج الشعرية لبعض شعراء الجنوب السعودي المعاصرين.

يقول عبد الرحمن سابي(٢):

مثلما يفعلُ قَطرٌ بجفافْ تبعثين الرِّيَّ في جَدْبِ الشِّغَافْ

---

(١) انظر: فرحات، أحمد حسن، القصيدة: المغناة في الشعر العربي: دراسة فنية أسلوبية، نادي أبها الأدبي، ط٢، (ص١٠).

(٢) سابي، عبد الرحمن، ديوان أنايَ التي أريد، قصيدة: أمام وإمام، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٦م، (ص١٦٥).

تُمْطِرِينِي مِن رذاذِ التوتِ حتى يَعذبَ الصدرُ مزارًا وقطافْ

استعمل الشاعر في هذه الأبيات أحد ظواهر الطبيعة السماوية في سياق تغزله بمحبوبته وإفصاحه عن مشاعره نحوها وحبه لها، وهي ظاهرة (المطر)، وفي توظيف المطر كعنصرٍ سماويٍ في الدِّلالة على عاطفة الشاعر تجاه محبوبته تصوير دقيق يمثل الخروج من وحشة السكون والجدب إلى حركة الخصب والنماء بفضل المحبوبة[١].

كما أنه يتجلَّى في توظيف الشاعر للطبيعة السماوية المتمثلة هنا في (المطر)، والذي رمز له بـ(القَطْر)، وما يُحدثه الإمطار من بعث الريّ في الجدب، وهو ما تصنعه المحبوبة بقلب عاشقها، يتجلَّى في هذا التوظيف (صورة أيقونية) تثير في المتلقي حواسَّ السمع والبصر والشمِّ؛ فإن هذه الصورة جعلت المتلقي يُشارك الشاعر شعوره العاطفي، من خلال ما بعثه (التَّقَايُن)[٢] في ذهنه من مظاهر حسية ومسموعة متمثلةً في ظاهرة (المطر) وربّها للأرض الجدباء، فكأنه يرى معه هذا المشهد، ويسمع القطر،

---

(١) انظر: التميمي، فاطمة حميد يعكوب، والخالدي، ياسر علي، القيم الجمالية للطبيعة الصامتة في شعر شعراء الطبقة الثالثة الجاهليين، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، مج٢٣، ع٣، ٢٠١٥م، (ص١٤٨).

(٢) مصطلح (التقاين) مصطلح صكَّهُ بعضُ الباحثين، للتعبير عن أداة من أدوات التحليل السيميائي، وهو مثل مصطلح (التشاكل)، وذلك أن النص الشعري في معظم الأطوار يمنح المتلقي مظاهر أيقونية (Iconiques) لا تتجلى في الأثر المتروك على الحيز (المرئيات)، وإنما تتجلى أيضًا في الأثر المسموع عبر الحيز (المسموعات من الأصوات المتشكلة هي في ذاتها من عدة أصناف صوتية، خافتة، ومتوسطة، ومدوية)، وفي الأثر الملموس (المماسات الخشنة كالمشوّكات، والمشعرات، وكل ذوات النتؤات)، والمحاسات اللينة: (كالحرائر، وكل ذوات اللمس الناعم الطري)، وفي الأثر المشموم (كالشذى للعطر، وكذلك التضوُّع، كذلك الشعور الذي يشعر به الشخص وهو يسير في مكان بعد مرور امرأة متعطرة في هذا المكان، فإن ذلك التضوُّع يضارع ذلك الأثر الذي تحدثه القَدَم حين تمر من فوق رمل (أو طين أو ثلج). انظر: مرتاض، عبد الملك، التحليل السيميائي للخطاب الشعري: النص من حيث هو حقل للقراءة، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج٥، م٢، ١٩٩٢م، (ص١٥٢،١٥٣).

ويتضوَّع برائحة المطر وإخصابه للأرض.

ويقول عبد الله بن أحمد الفَيْفي[١]:

يا فِتْنَةَ الحَرْفِ، يا أُنْثَاهُ، ها ثَمِلَتْ مِـنْ رَاحَتَيْـكِ أَفـانِيني كَشَـحْرُورِي!

لَمَّا بَنَائُكِ...، ضَاءَ الكونُ مِن وَلَـهٍ يَشْدُو، ودَارَ الشَّجَا أَفْلاكَ مَسْحُورِ!

فَـرَاحَ كُـلُّ مِـدَادِي أَنْجُمًـا، وغَـدَا مِن ثَوْبِيَ الشِّعْرِ شَمْسًا كُلُّ دَيْجُورِ!

يخاطب الشاعر في هذه القصيدة (دلمون)، ويتغزل بها وببهائها وجمالها وروعتها، و(دلمون) حضارة من الحضارات القديمة في الجزيرة العربية، وقد وظَّف الشاعر للدِّلالة على ذلك بعض عناصر الطبيعة السماوية، وهي: (الأفلاك)، و(الأنجم)، و(الشمس).

حيث صوَّر الشاعر (النجوم) وكأنها تُصبح مدادًا لشعره في مدح (دلمون) يحبِّر دواتَه منه، وفي قول الشاعر: (وغدا.. من ثوبيَ الشعر شمسًا كلُّ ديجورِ) انزياحٌ تركيبي؛ وذلك أن الشاعر قد انحرف في كلامه عن مسار التركيب النحوي الأصلي للغة لتجاوز الدِّلالة المألوفة التي يتيحها التركيب الأصلي[٢]، فإن (غدا) هنا من أخوات (كان)، وقد قدَّم خبرها (شمسًا) على اسمها (كلُّ ديجور)؛ ليؤكد وصفَ شعره بالإشراق بعد ظلامٍ؛ لطغيان تأثير جمال (دلمون) وفتنتها وتأثير ذلك على عواطف الشاعر وإلهامه له، والتركيب الأصلي هو: (غَدَا كل ديجورٍ شمسًا).

ويقول عبد الله بن أحمد الفيفي أيضًا[٣]:

---

(١) الفيفي، عبد الله بن أحمد، ديوان إنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِق، قصيدة: عذراء دِلْمُون، (ص٣١).

(٢) انظر: المطيري، حنان غالب، الدلالات الرمزية في ديوان فصول من سيرة الرماد لصالح الزهراني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، ع٣٨، (ص١٨٣).

(٣) الفيفي، عبد الله بن أحمد، ديوان إنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِق، قصيدة: لا ليس صعبًا، (ص٧٤).

لا ليسَ صعبًا على (الفَيْفَا) بِقِمَّتِهِ أن تُجتَنَى مِن يديهِ الشَّمسُ والقَمَرُ!

يعبّر الشاعر في هذه القصيدة عن حبه وتقديره وعاطفته تجاه أهل بلده (فيفاء)، ويشيد بهم وبسموهم، فيمدحهم بأنهم بلغوا من السمو والارتفاع والسؤدد ما جعلهم يدانون (الشمس)، و(القمر) ارتفاعًا وسموًّا ونورًا، بل ليس صعبًا عليهم أن يحوزوا الشمس والقمر حتى يَجْتَنِيا من أيديهم، ويبرز هنا توظيف الشاعر لعناصر الطبيعة السماوية في دلالته على عاطفته نحو أهل بلده.

ويقول حسن محمد الزهراني[١]:

تـدثَّري بحنـانٍ مِـنْ حنـينِ أبٍ تقاذفَتْـهُ ببحـر العُمـرِ أوهـامُ
تقدَّمي فـي ثباتٍ وارسُمي أملًا كيمـا تغـرِّدَ بـالأفراحِ أعـوامُ
صَغِيرَتِي هاكِ أبياتي وقَدْ شرِبَتْ نخـبَ السماواتِ والأكـوابُ إلهـامُ
صارَ السحابُ دواويني ومحبرتي من مُقلةِ الشمسِ والأضواءُ أقلامُ
الفجرُ مِنضدتي والبرقُ مِسبحتي والسـحرُ فـي مَعبدي لليلِ قـوَّامُ
ألهبتِ أفئدةَ الأقمارِ فانصهرتْ فـي أحرفي وخيالُ الوصفِ بسَّامُ
وسُقتِ غيمَ المعاني في مُخيَّلتي فوَبْلُـهُ مِـنْ بـديعِ الشـعرِ سَـجَّامُ

يُعبّر الشاعر في هذه القصيدة عن حبه ومشاعره تجاه صغيرته وابنته (إلهام)؛ فقد ذكر الشاعر (مقصوده) في مفتتح هذه القصيدة من ديوانـه، فقال: "إلى صغيرتي إلهام، فراشةٌ جاءت بسمتُها بألوان البراءة في صباحات البهجة الحالمة، وفاحت بها الزهور عبقًا لا تنتهي روعتُه"[٢]، كما جعل الشاعر اسمَ صغيرته هو (عنوان) القصيدة،

---

(١) الزهراني، حسن محمد، ديوان هات البقية، قصيدة: إلهام، (ص٢٨، ٢٩).

(٢) انظر: الزهراني، حسن محمد، ديوان هات البقية، قصيدة: إلهام، (ص٢٧).

واستعاره في (الفاتحة النصِّية) أيضًا، فقال: إلهامُ وجهكِ للإلهامِ إلهامُ[١].

وقد وظَّف الشاعر في أبيات القصيدة بعضَ عناصر وظواهر الطبيعة السماوية، مثل (السماوات) التي جعل أبياتَه التي يمدح بها صغيرتَه وكأنها من الابتهاج والفرح قد شرِبت نخبَ (السماوات)، كما استعمل (السحاب)، و(الشمس)، فقد جعل (السحاب) وكأنه ديوانه، يكتب فيه بأقلامٍ مضيئة يُحبِّرها من مُقلة (الشمس)، وكأن الشاعر يكتب قصيدته وهو يحلِّق في الفضاء، واستعمل أيضًا ظاهرة (البرق)، فقد جعله مسبحتَه وهو يخطُّ شعره مستندًا على الفجر الذي جعله منضدتَه، كما وظَّف الشاعر ظاهرة (الليل) في قوله: والسحرُ في معبدي لليلِ (قوّامُ)، فقد جعل (السَّحَرَ)، وهو آخر الليل، كأنه شخصٌ يقوم الليلَ في معبد الشاعر.

وقد استعمل الشاعر أيضًا في مدح صغيرته والتعبير عن مشاعره وعاطفته الجيَّاشة نحوها، العنصرَ السماوي (الأقمار)، وظاهرة (الغيم)، وظاهرة (المطر)، فقد جعل صغيرته من فَرْط جمالها وبهائها وكأنها تُلهب أفئدةَ الأقمار المضيئة الجميلة الوضَّاءة حتى تنصهر تلك الأفئدة بين أحرف أبياته فتزيد وصفها روعةً وتألقًا، وأما (الغيمُ)، و(المطر) فقد أضافه إلى المعاني التي يَطرُقها، فصغيرته الملهِمة (إلهام) هي من تسوق إليه – بتأثير إلهامها الطاغي – غيمَ هذه المعاني فتحلِّقُ فوق مخيلته حتى تمطرها بألوان الشعر وبديعه. فالوَبْلُ من الألفاظ الدالة على الطبيعة السماوية، فهو: المطر الشديد المصحوب بالصواعق[٢].

ويتبين من هذا الحضور الكثيف للطبيعة السماوية في الأبيات، (قصديةُ) الشاعر لتوظيف واستعمال مكوّناتها في قصيدته بما تتضمَّنه هذه المكوِّنات من دلالات عاطفية عميقة.

---

(١) انظر: المرجع السابق، (٢٧).

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (٧١٨/١١).

وإذا التفتنا إلى إحصاء حركاتِ مفرداتِ الأبيات الشعرية للقصيدة، نخلُص إلى أنه، وإن وجدت حركة (الفتح)، و(الضم)، في مفردات القصيدة، وكذا وإن استُعملت حركة الضمِّ في القافية؛ فإنَّ حركة (الكسر) غالبةٌ على المفردات بطول أبيات القصيدة، ولا شك أن هذا يليقُ بغرض الشاعر ومقصوده، ويناسب السياق العاطفيَّ التي كُتبت فيه هذه القصيدة، ويناسب الشخصية التي يخاطبها الشاعر (المرسَل إليه). فإن حركة (الكسر) تدل على الصِّغر واللُّطف والجمال، بخلاف حركة (الضم) التي تعني الكِبر والحزن والقوة، وحركة (الفتح) التي تعني الكِبر والضخامة.

ويُلْحَظ أن الشاعر اختار لقافية القصيدة حركة (الضم) التي تناسب تراكيبَها ومفرداتها المعبّرة عن قوة السليقة الشعرية له وخشونتها، وقوة وصفه ومدحه لأبياته التي يعبر فيها عن شعوره تجاه ابنته، بينما قاده سياقُ التحنُّن تجاه صغيرته في سائر مفردات القصيدة وخطابه لابنته إلى استعمال حركة (الكسر) التي تدل على معاني الشفقة والحب واللين والحنان.

يَظهر ذلك في الألفاظ: (تدثرِي)، (بحنانٍ)، (حنينِ)، (أبٍ)، (ببحرِ)، (العمرِ)، (تقدمِي)، (ثباتٍ)، (ارسمِي)، (بالأفراحِ)، (صغيرتِي)، (هاكِ)، (أبياتِي)، (السماواتِ)، (الأكوابِ)، (دواوينِي)، (محبرتِي)، (مقلةِ)، (الشمسِ)، (الأضواءِ)، (منضدتِي)، (مسبحتِي)، (معبدِي)، (لليلِ)، (ألهبتِ)، (أقمارِ)، (أحرفِي)، (الوصفِ)، (سُقتِ)، (المعانِي)، (مخيّلتِي)، (بديعِ)، (الشعرِ)، فتسجّل حركة (الكسر) ٣٣ مرة، بينما تسجل حركة (الضم) ١٥ مرة، وتُسجل حركة (الفتح) ٦ مرات، ومنه يتبيَّن غلبةُ الكسرات على أبيات القصيدة وتحديدًا على ألفاظ مكوّنات الطبيعة السماوية، مثل السماواتِ، والأكوابِ، والأقمارِ، والشمسِ، والليلِ؛ وذلك لمناسبة هذه الحركة للدلالات العاطفية لموضوع القصيدة.

ويقول حسن محمد الزهراني أيضًا[1]:

يا أنَتِ: مَن أنتِ؟ وماذا في يَدَيْكِ لنا ... متى ستُقْبِلُ؟ إنَّ الصبرَ مطعونُ

يا أنتِ مِن أيِّ نَجْمٍ تستدرُّ فَمِي ... إني بِسَبْكِ بديعِ الشعرِ مفتونُ

ركضُ المجرَّاتِ عن ساقَيْكِ مرتحلٌ ... وعاصفُ الضَّوْءِ في خدَّيْكِ مرهونُ

شكَّل حضور الطبيعة السماوية في هذه الأبيات صورًا لها دلالاتها العاطفية؛ حيث يستعمل الشاعر هنا النجوم، والمجرّات، كنوعٍ من المدح والغزل، فمن عميق عشقه لمحبوبته مع بعدها وغيابها وجهله بموعد إقبالها، يُصورها وكأنها تسكن نجمًا عاليًا بعيدًا في السماء، وفي هذا التوظيف لعنصر النَّجم وما يتضمنه من البُعد المكاني والزماني وصعوبة الوصول رابطٌ بين عنوان القصيدة (غَيب) وبين مضمونها. ثم من هناك من هذا العلو والبعد تستدرُّ المحبوبةُ شعرَه وتستنفر طاقات إبداعه الفني حتى أضحى مفتونًا بسَبْك بديع الشعر.

ثم يُوظف الشاعر مُكوّنًا آخر من مكوّنات الطبيعة السماوية في التعبير عن عاطفته تجاه محبوبته، وهو عنصر المجرَّات، وهو أحد عناصر الطبيعة السماوية، فالمجرَّات تحتوي على تجمُّعات نَجمية عديدة، وتَظهر هذه التجمعات في أشكال مختلفة، ومنها مجرة درب التبانة التي تضم الشمس بين نجومها الأخرى، وهذه النجوم دائمةُ الحركة في مداراتها في كل مجرة، فالشاعر هنا يُعبر عن هذه الحركة بالركض، ويصور المحبوبة وهي في هذا البعد والعلوّ فوق أحد النجوم، وكأن المجرَّات أسفل ساقيها تتحرك وتدور وترحل عن ساقيها، ثم هي بين هذه الأجرام السماوية شديدة الإضاءة تبدو لامعةَ الخدَّيْن، وكأن أضواء هذه النجوم والمجرَّات مرهونة في خَدَّيها.

---

(١) الزهراني، حسن محمد، ديوان هات البقية، قصيدة: غيب، (ص٣٧، ٣٨).

ويقول الشاعر أيضًا في ختام القصيدة[١]:

فمرحبًا بكِ يا غيبًا يُشاطرُني حزنَ الحياة ونبضُ البشْرِ مغبونُ

ومرحبًا يا صباحًا شمسُه سكنتْ في صمتِه وهْو بالآمالِ مسكونُ

نرى هنا أن الشاعر يستدعي عنصرًا آخر من مكوّنات الطبيعة السماوية، وهو الشمس، في التعبير عن حالته العاطفية وشعوره أمام انتظار الغيب المجهول، والذي يتَّسم بالتفاؤل والأمل والسلام النفسي، والذي يناسبه صورة صمت الصباح وسكونه، حتى كأنَّ الشمس نفسها، وهي دائمة الحركة، سكنت عن حركتها ودورانها في هذا الصمت، ولا شكَّ أن سكون الشمس صورة لها دلالتها العاطفية التي تدل على حال الشاعر.

ويقول عادل خميس الزهراني[٢]:

على شاطيك تغتسلُ الثريَّا وتثمَلُ في مفاتنكِ الحُميَّا

وتشربُ من شمائلِك المعالي على ظمأِ النَّوى فتموتُ ريَّا

اعتمد الشاعر في هذه الأبيات أحد عناصر الطبيعة السماوية، وهو (الثريَّا)، وهي مجموعة من النجوم المتراكبة في عنق برج الثور، وقيل: سُميت بذلك لكثرة نجومها مع صغر مرآتها فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحلِّ[٣]، وهي من عناصر الطبيعة السماوية المستعملة بكثرة للدِّلالة على معاني الجمال والضياء في الشعر العربي القديم؛ لأنَّها من العناقيد النَّجمية التي تبهر الناظرين في سماء الليل، وقد وظَّفها الشاعر هنا في

---

(١) الزهراني، حسن محمد، ديوان هات البقية، قصيدة: غيب، (ص٣٨).

(٢) الزهراني، عادل خميس، ديوان حدث في مثل هذا القلب، قصيدة: جِدّة، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠١٩م، (ص١٠٧).

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (١١٢/١٤).

مدح محبوبته؛ حيث جعل الثريا مع علوّها وارتفاعها وضيائها وكأنها تغتسل على شاطئ المحبوبة، وتبرز الدِّلالات العاطفية في الألفاظ مثل: (مفاتنكِ)، (شمائلكِ)، (ريَّا).

ويقول فيصل آل صالح[1]:

أطيحِـي بليـلٍ لا يُطـيحُ هِلالَـه لِيُقبِـلَ صـبحٌ أسـتبينُ جَمَالَـهْ

وأسقي شراييني هواكِ، وأجزِلِي لها، واسكُبي حتى أغيبَ ثُمَالَـةْ

أدخل الشاعر في هذه الأبيات عنصرًا من عناصر الطبيعة السماوية، وهو (الهلال)، وهو أول منازل القمر، ويظهر في السماء على شكل قوس غير مكتمل، كما وظَّف معه أيضًا ظاهرة (الليل)، وقد وظفهما الشاعر في التغزُّل بمحبوبته وإبرازِ عاطفته نحوها؛ حيث جعلها في بهائها وجمالها ونضارتها وضيائها وكأنها قادرة على قلب ليلٍ طويلٍ لا يغيب (هلالُه) صبحًا جميلًا مشرقًا.

ويقول حسن بن بطنين[2]:

لها وجهُ بدرٍ لا يُشابه كوكبًا تدور الثريَّا في هواها على زُحَلْ

وشَعرٌ تباهى إن تَعَثْكَلَ جَعْدُهُ يُشَبَّهُ بالأثلِ المذهَّبِ بالعَبَلْ

استعمل الشاعر في هذه الأبيات بعض عناصر الطبيعة السماوية، وهي (البدر)، و(الكوكب)، و(الثريَّا)، و(زحل)، وهو أحد الكواكب البعيدة نسبيًّا عن شمس الكرة الأرضية.

وقد وظَّف الشاعر هذه العناصر السماوية في التغزُّل بمحبوبته؛ حيث تبرز

---

(١) آل صالح، فيصل، ديوان فتنة الشعر، قصيدة: تأويلاتٌ للقاءٍ قريبٍ، (ص١١٩).

(٢) ابن بطنين، حسن، ديوان فوسطنَ بهِ شعرًا، قصيدة: الجميلة العروضية، دار أثر للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الدمام، ط١، ١٤٤٤هـ، ٢٠٢٢م، (ص٢٢).

الدِّلالات العاطفية للأبيات في تشبيه الشاعر لوجه محبوبته في ضيائه ونضارته وجماله وإشراقه بـ(البدر) الذي هو القمر في طوره الكامل المضيء، كما جعل وجهها لا يُشابه أي كوكب من الكواكب ولا يساميه واحد منها ضياءً ونورًا، والكوكب هنا مستعملٌ بمعنى (النجم)، كما جعل نجوم الثريَّا تدور – في هوى محبوبته – على كوكب (زحل) بدلًا من دورانها في فلكها الأصلي.

ويقول أيضًا[١]:

تضارعُ نورَ الشمسِ بالدِّفءِ برهةً وتبرئُ مجتثَّ القلوبِ إذا انخذَلْ

هِيَ القَدَرُ المختارُ من وهب السما كغيمةِ صيفٍ بالغمامِ إذا هطَلْ

اتَّخذ الشاعر هنا في التغزُّل بمحبوبته العناصر السماوية: (الشمس)، و(السماء)، و(الغمام)؛ حيث جعل نور محبوبته يضارع نورَ (الشمس) في دفئه وضيائه، كما أنها في سُمُوها وهُدوء سحرها وتفردها بذلك بين البشر، كـ(غيمة) صيف غير ممطرة بين (غمام) ممطر.

ويقول فيصل أحمد الغامدي[٢]:

فكانَ مَساءً وكان خليلًا

فكنَّ نساءً وكنتِ نخيلًا

وكنتِ هلالًا وكنتِ جلالًا

فكُنَّ نجومًا

وكُنَّ رُجومًا

***

(١) ابن بطنين، حسن، ديوان فوسطنَ بهِ شعرًا، قصيدة: الجميلة العروضية، (ص٢٣).

(٢) الغامدي، فيصل أحمد، ديوان المعتق من قبس، قصيدة: شاهد العطر، ص١٣.

فأمطرنَ مِنْ غيظهنْ

وأمطرتِ في قيظِهِنْ

وأنتِ جعلتِ إلى الماءِ بابًا

وهُنَّ حجابًا

أسلتِ سَحابًا .. سَأَلْنَ حِسَابًا

استعمل الشاعر في أبياته العديد من صور ورموز الطبيعة السماوية بغرض التغزُّل في محبوبته، وجعلها شيئًا متفردًا عن قريناتها، فيصفها (بالهلال، والنجوم، والمساء)، تلك الصفات التي تفردت بها عن قريناتها قد جعلتهنَّ يُمطرْنَ عليها سيول الغيظ والحقد والحسد، بينما هي مصدر الحنان والعطاء؛ فكأنها هي من تسيل السحاب، وكأنها رمزية إلى عطائها الدلال والحب.

ويقول الشاعر أيضًا مُوَظِّفًا عناصر الطبيعة السماوية لشحذ العواطف، ونقل الصورة إلى المتلقي في قصيدة في وصف البيداء[1]:

مَن ذا يُسائِلُ نجمةَ الأنواء عن شَغَفِ الأعنَّةِ بالشروق

مَن ذا يُغَنّي ليلةَ العيدِ احتفاءً باكتمالِ نَوَى العُذوق

إنَّا نُحَدّقُ في احتدامِ الغيمِ ناشئةَ البروق

غيثًا يُدَمْدِمُ فوقَ صهباءِ الحُلُوق

ودمًا يَفِرُّ من العروق إلى العروق..

ومرتعًا

للتّيهِ للشُّرفاتِ

مِنْ غَسَقِ الدُّجَى

---

(١) الغامدي، فيصل أحمد، ديوان المعتق من قبس، قصيدة: بيداء المناخ، (ص٢١).

حتى تفضَّ بكارةَ الفجرِ الصَّدُوق

لقد وظَّف الشاعر ألفاظ الطبيعة السماوية من (نجم الأنواء، والغيم، والشروق، غسق الدجى، الفجر) لوصف البيداء التي سافروا فيها، مُستخدمًا طُرق الكلام من البلاغة في التشبيه والاستعارة لكي ينقُلَ العَناء والمشقة التي شاهدوها إلى المتلقي، فالشاعر يحاول نَقْلَ الصورة الواقعية، ودمجها بالمحسوسات في الطبيعة لشحذ العواطف، وكسب تعاطف المتلقي.

فهاهُم في ظلمة البيداء ينظرون إلى الغيمِ والبروق رغبةً في نزول الغيث والمطر، تائهين في غسق الليل وظلمته انتظارًا لقدوم الفجر، وشعاع نور النهار.

الخلاصة:

من خلال ما سَبَق عرضُه من النماذج الشعرية لشعراء الجنوب السعودي لتوظيف الطبيعة السماوية وعناصرها، يمكن القول: إن الشعراء السعوديين استطاعوا أن يُوظفوا الطبيعة السماوية ويمزجوها مع عناصر الشعر والتجرِبة الشعرية، والتفنن في المعاني العاطفية والخيال الشعري؛ حيث جاءت الطبيعة السماوية ممتزجةً في أكثرَ مِن غرض من الأغراض الشعرية لدى الشعراء السعوديين؛ وذلك لتكشفَ تلك الأغراض عن امتزاج الطبيعة السماوية مع المعاني العاطفية التي تدلُّ على صدق التجرِبة الشعرية لهؤلاء الشعراء، فجاء توظيفُ الطبيعة السماوية بطريقة ضمنيةٍ رمزية عن طريق الرموز والدِّلالات التي تحتوي على المعاني والدِّلالات النفسية والعاطفية والدينيَّة، فاستطاعت الطبيعة السماوية أن تُعَبِّرَ بصدق عن تلك المعاني، فأعطى الشعراء الطبيعةَ السماوية بعض المعاني التي تحتمل دلالاتٍ مختلفةً كدلالة النور والهداية للشمس والقمر، ودلالة الخير والنماء للمطر، والكثير من المعاني الصادقة التي دلَّتْ على صدق التجرِبة الشعرية مع الخيال العاطفي، فخرجت صورٌ طبيعةٌ للمتلقي في صُور حسية مجسَّدة لتُحَقِّقَ صدق المعاني.

المبحث الرابع: الدِّلالات النفسية

يُقصد بالدِّلالات النفسية هنا في هذا السياق: استعمالُ مفردات وألفاظ عناصر وظواهر الطبيعة السماوية في تعبير الشاعر عن أحواله وعوارضه النفسية وتجلّياتها، ومن المعلوم أن مشاعر الإنسان ولواعجه النفسية هي انعكاس عن تجارِبه الحياتية. وكلما تجذَّرت التجارِب الحياتية في نفس الشاعر وفِكَره، كان انطلاقُها عبر الزمان والمكان اللامتناهِيَيْن أقوى، فإن القِطع الشعرية وإن كانت تعبر عن إشكاليات وتجارِب ترتبط بزمانها ومكانها، إلا أن مقوماتها الجمالية تظل حاضرةً، "لذا يصح القول: إنَّ الوعي بالشعر هو إدراك الحياة وتجاوزُ التَّماس معها إلى الغَور فيها والاشتباك معها في قضاياها وصراعاتها وتناقضاتها، وليس ثمت حدود لآفاق الشاعر الإبداعية، بل إن جميع مفردات الحياة التي يعيشها هي التي تشكل المدى الذي يتحرَّك فيه الشاعر"(١).

ويشتمل العملُ الأدبي على عناصر مُضْمَرة تُحيل على الواقع والسياق المحيط، وذلك أن العمل الفني والأدبي هو انعكاس للصورة النفسية للكاتب أو الشاعر أو المبدع (المرسِل)، والأديب والشاعر قد تتحكم فيه بواعث خَفِيَّة ربما لا يدركها هو نفسه فلا تظهر إلا من خلال التحليل أو التأويل، ومن هذه الحيثية تتجلى أهمية تحليل الخطاب الأدبي والشعري الذي يعكس الدِّلالات النفسية التي تُحيل على نفسية المبدع من جانب، والإشارات الثقافية التي تُحيل على التفاعلات النصية داخل العمل الأدبي من جانب آخر، مما يُوضِّح السياقات الثقافية والاجتماعية التي تُحيط بالمبدِع وتُشكِّل رؤيته للعالم، والعمل الأدبي عمومًا هو تعبير عن مجموعة من القوى النفسية التي تتحكَّم في المبدِع.

وقد بدأت العناية بقراءة الدِّلالات النفسية للنص الأدبي مع نشأة الدراسات

---

(١) الأمين، حميد سعيد، الشعر الحقيقي هو الذي يبدع قراؤه، مقال بملحق الشرق الأوسط، ٢٠١٤م.

النفسية الحديثة، وهذه القراءات النفسية كما تهدُف إلى الوصول إلى الدِّلالات النفسية، كذلك تهدف إلى قراءة التفاعل الجدلي بين الذات الشاعرة مع الإطار الثقافي والاجتماعي، وذلك في محاولةٍ لربط التكوين النفسي لها مع السياق الاجتماعي والزمكاني، ومن ثمَّ السياق الحضاري(١).

وفيما يلي تتناول الباحثةُ الدِّلالات النفسية للطبيعة السماوية في مجموعة من النماذج الشعرية لبعض شعراء الجنوب السعودي المعاصرين.

يقول عبد الرحمن سابي(٢):

أنا وَظِلِّيَ خِلْنَا الهمَّ ثالثَنَا فكيف أدنو سويًّا من حِمى المتَعِ

ما ضَرَّنَا قسوةٌ سِيقَتْ لداخِلِنا وخلَّفَتْ من أساها أنَّةَ الوجعِ

بين المحطاتِ غرَّبْنا حقائبَنا وفي المسافاتِ ما زِلْنَا على ولَعِ

صَبرٌ وصِبرٌ وهذا البؤسُ غيمتُنا فما لنا غير أورادٍ مِن الفزعِ

هذه القصيدة يُعبر بها الشاعر تعبيرًا صريحًا عن نفسه، بل الديوان كلُّه يعبر عن ذات الشاعر ولواعجه وآلامه وأحلامه؛ حيث يُهدي الشاعر الديوان إلى نفسه قائلًا:

إلى أناي التي أريد دون وصاية من أحد(٣)

ويفتتح الشاعر القصيدة بما يُفصح عما تتضمنه من دلالات نفسية، فيقول(٤):

---

(١) انظر: صالح، هويدا عبد القادر، الدلالات النفسية والبناء الجمالي في الشعر، ج١، ٢٠٢١م.

(٢) سابي، عبد الرحمن، ديوان أنايَ التي أريد، قصيدة: وجه آخر للورع، (ص١١).

(٣) المرجع السابق، (ص١٠).

(٤) المرجع السابق، (ص١١).

لا ضدَّ لي حِينَمَا أحنو على وَجَعِي ولا شبيهَ إذا ما سِرْتُ في طَمَعِي
وَحْدِي أُلَمْلِمُ أعضائِي إذا افترقتْ بحثًا عَنِ الحظِّ أو حُبًّا إلى شَبَعِي

وعلى هذا النحو تتوالى الأبيات محمَّلة بصور شعرية مشبَّعة بشحنات نفسية متفجرة بالحزن والأسى والألم والصعاب التي يعانيها الشاعرُ ويتصبَّر عليها؛ حيث يجعل الشاعر أنيسه الوحيد هو ظله، وثالثهما الهمّ، وهو مع ذلك ثابت برباطة جأشٍ أمام القسوة التي تسوقها الأيام إليه وما تخلفه وراءها من الأسى الذي يسكن نفسَهُ ولا يعبر عنه إلا صوتُ الأنين من الوجع.

وقد وظَّف الشاعر في الأبيات أحد مكوّناتِ الطبيعة السماوية في التعبير عن عوارضِهِ النفسية، وهو الغيمُ، فقد شبَّه الشاعر البؤس الذي يُعانيه بالغيمِ في إظلاله له وكأنَّه معه يُرافقه باستمرار ولا يتركه ويحجُب عنه النور ورؤية الأفقِ بظلامِه.

ونجد أن الشاعر باستعماله لهذا العنصر استطاع أن ينقُل حالته الانفعالية للمتلقِّي ويجسِّد إحساسه العميق بهذا البؤس الملازم له، وبه يظهر أثر استعمال صور الطبيعة السماوية ومكوّناتها في إبراز الدِّلالات النفسية للنص.

ونجد أن المفردات التي استعملها الشاعر في القصيدة تُبرز الملامحَ والأبعاد النفسية الكامنة وراء النص، وتتناغم مع استعماله لعنصر سماوي يناسبها كـ(الغيم).

فاستعمال الشاعر لمفردات نفسية مثل: (الهم)، و(الضرر)، و(القسوة)، و(داخلنا)، و(الأسى)، و(الأنين)، و(الوجع)، و(الغربة)، و(الوَلَع)، و(الوحدة)، و(الحظ)، و(الحنوّ)، و(الصبر)، و(البؤس)، و(الفزع)، هذه المفردات في تلك القطعة الشعرية، وغيرها من المفردات في المقطوعات الأخرى، أضفت على القصيدة طابعًا نفسيًّا عميقًا يُعبر عن الحالة الشعورية الداخلية للشاعر، ولها أثر في انتقاء الشاعر لـ(الغيم) تحديدًا بما يُشير إليه من دلالات ومعانٍ دون غيره من عناصر الطبيعة السماوية، وهو الشيء الذي ربما قصده الشاعر وتعمَّده بما يُشير إليه تعبيرنا بلفظ

(الانتقاء)، وما يشتمل عليه هذا اللفظ من حمولة القَصدية، أو ربما كان الشاعر مدفوعًا إليه تحت وطأة بواعثِه النفسية دون أن يشعر.

ويقول علي الدميني[١]:

شربتُ مِن ماءِ زمزمَ والفراتِ، ومِن بردَى، فما أُطفئتْ في قلبيَ الحُرَقُ
أشدُو على الناي أحزاني وفاتحتِي وحيثُما لاحَ برقٌ رُحْتُ أبتَرِقُ
لقد تأخرتَ يا صُبحًا عليهِ دَمِي حتى اصطفاني نُدامَى النارِ، والغَرَقُ

وظَّف الشاعر في هذه الأبيات مُكَوِّنًا من مكوِّنات الطبيعة السماوية، وهو البرق، في التعبير عن مشاعره وأحزانه، وقد افتُتحت القصيدة بإشارة إلى ما يزاوله الشاعر من وحشة الوحدة والأرق؛ حيث قال مخاطبًا الصبح:

لقد تأخرتَ حتى ملَّكَ الأرَقُ واخضلَّ من حُزْنِهِ، في قلبيَ الورَقُ

ونلاحظ تكثيفًا في النص لصور تحتوي على دلالات نفسية تَصِف حزن الشاعر وآلامه، فالشاعر كما يتَّضح من النص يحمل بين جنبيه حرارة مبعثُها الألم والأسى لا يُطفئها شربه من ماء زمزم أو الفرات، وتتوالى المفردات التي تعبر عن هذه الحالة النفسية التي تُخيِّم على النص، مثل (شربتُ)، و(أطفئت)، و(الحُرَق)، و(أحزاني)، و(النار)، و(العرق)، و(الدم)، و(التأخر)، ويصوِّر الشاعر ذاته وهو يبكي أحزانه شاديًا على الناي، حتى إذا لاح في الأفق برقٌ انطلق فزعًا وفَرَقًا.

ويقول عبد الله بن أحمد الفيفي[٢]:

أطفِئ سؤالَكَ؛ مَوْجُ الليلِ مُعتَكِرُ والفجرُ مُرتَهَنٌ، والوقتُ مُحْتَكَرُ!

---

(١) الدميني، علي، ديوان خَرَزُ الوقتْ، قصيدة: الصُّبح، (ص٧٩، ٨٠).

(٢) الفيفي، عبد الله بن أحمد، ديوان فيْفَاء هبّة الطفولة، قصيدة: مكاشفات أخيرة في مهبِّ الليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، (ص١٦٢).

والريحُ تَشكُو، يطيرُ الشَّجْوُ أغْرِبَةً تطوِي الفَضاءَ، وسالَ النَّجمُ والقَمَرُ!
أطفئ سؤالَكَ؛ ما في الشكِّ مِنْ أفقٍ إلى المسيرِ، ولا في الظَّنِّ مختبَرُ!
هذا الْمَواتُ تنامَى في محاجرِنا حتى تناهَى بنا في عُمرِهِ العُمُرُ!
يستفُّ في هَبَواتِ الصّحْوِ قَهْوتَنا كما يُسَفُّ بمتنِ القَفْزَةِ الأثُرُ!
يدقُّ فينا عمودَ البيتِ، مِن يدِنا يُبعثرُ الشمسَ، والآماس يأتسِرُ!

بتأمل القصيدة نجد حضورًا بارزًا لعناصر وظواهر الطبيعة السماوية في قصيدة هذا الشاعر، كعنصر (النَّجم)، و(القمر)، و(الشمس)، و(الفضاء)، وظاهرة (الريح)، وظاهرة (الليل)، كما يتبدَّى لنا أن مكوِّنات الطبيعة السماوية قد لفتت نظر الشاعر وأثارت دهشته بما تحمله هذه الطبيعة من دلالاتٍ ومعانٍ وسمات، فوجد فيها ملاذًا كبيرًا للتعبير عما يدور في خلجاته ونفسه من مشاعر وأحاسيس؛ حيث أنشد الشاعر هذه القصيدة تعبيرًا عن الحالة النفسية التي تلبَّسَتْه في ذكرى سقوط (قرطبة)، و(غرناطة)، و(بغداد)، وغيرها من عواصم الحضارة الإسلامية[1]، وما أثارَتْه هذه الذكرى من مشاعر الحنين والحزن والشجن في نفس الشاعر، فالقصيدة يغلِب عليها (تيمةُ المأساة).

وبالتأمل والإحصاء لتردُّد الحروف نجد طغيانًا لافتًا لحرف (السِّين) الذي يرتبط بمفردات معجمية تُعبِّر عن هذه المأساة، فهو يمثل أركان البلاد والعواصم الإسلامية التي ضاعت فضاعت معها عُرى الإسلام[2]، ففي القطعة الشعرية أعلاه يَبرز حرف (السين) في الألفاظ: (سؤالك)، و(سال)، و(المسير)، و(يستفُّ)، و(يُسَفُّ)،

---

(١) انظر: المرجع السابق، (ص١٦١).

(٢) انظر: موشعال، فاطمة، النقد السيميائي في مقاربة محمد مفتاح للخطاب الشعري العربي القديم، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٢٠م، (ص٤٩٥).

و(الآماس)، و(يأتسر).

وذلك أن التردد الواضح لبعض الأصوات الموزَّعة طوال النص، إذا وُضع بعضُها إزاءَ بعضٍ، فإنها تؤلِّف دالًّا معجميًّا له مدلول، هو نواة تلك المنظومة من الشعر، كما توصَّل إليه دو سوسير، وهذا المدلول يقدِّم اسمًا أو أسماء خاصَّة، أو هي مركز ذلك الشعر، واحتماليًّا فوق ذلك يقدِّم اسمًا أو أسماء مشتركة تكثِّف دلالة الأثر الأدبي(١).

ونلمَس من خلال التجرِبة الشعرية لهذا الشاعر أن عناصر وظواهر الطبيعة السماوية قادرةٌ على تفجير مشاعر النفس الغامضة التي تموج بالإعجاب والإثارة، وأن مكوِّنات هذه الطبيعة تتلَّون في التجارِب الشعرية بانفعالات الشعراء ورؤاهم، فيصبح حضورُها متعددَ الألوان والسمات والدِّلالات النفسية المتنوعة، بحسب الحالة الشعورية التي يحياها الشاعر من مواقف ومشاعر.

فنجد أن ظاهرةً سماويةً كـ(الليل)، يمكن توظيفُها لتتعانق مع ظاهرة أرضية كـ(الموج)، لتُبرز المعاناة التي يزاولها الشاعر، كما في قوله: (موجُ الليلِ مُعتكرُ)، وتوظيفُ الشاعر هنا لـ(الليل) كظاهرة طبيعية سماوية، بالتضافر مع (موج) البحر كظاهرة طبيعية أرضية، يُشبه توظيف الشاعر الجاهلي القديم (امرئ القيس) لهما في معلقته المشهورة؛ حيث يقول: وليلٍ كموجِ البحر أرخَى سدولَه...عليَّ بأنواعِ الهمومِ لِيَبْتَلِي(٢)، فقد تضمَّن توظيفُ امرئ القيس (الليلَ) في هذا البيت أيضًا دلالاتٍ نفسية تتمحور حول ما يعانيه الشاعر من الهموم والأحزان، فالشاعر يُسقط ما في نفسه على مظاهر الطبيعة السماوية، مما يثير في نفسه إحساسًا بسرمدية الليل المثير لهموم

---

(١) انظر: مفتاح، محمد الغزواني، في سيمياء الشعر القديم: دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، (ص١٢٦).

(٢) انظر: امرؤ القيس، ابن حجر بن الحارث، ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، (ص٤٨).

وذكريات موجعة مؤرقة تُشعرُ بالحنين والشوق والهوى، فالسكون الناتج عن الليل يُهيئ للإنسان الخَلوة مع الذات بعيدًا عن البشر، فتبدأ الذكريات بالتداعي فتتملَّك الإنسان وتسيطر على نفسه، فيجافي النومُ العيونَ ويكسر القلبَ الحنينُ والشوقُ، حتى يتمنَّى المرء لو أن الليل ينتهي ويُقبل النهار.

وهذا ما نجده في توظيف (الليل) في قصيدة الشاعر السعوديّ المعاصر؛ فقد جاء (الليل) في سياق استحضار الشاعر لذكريات سقوط عواصم الأمة الإسلامية ممثلًا لدِلالات نفسية كـ(الخوف، والرهبة، والابتلاء، والهموم، واليأس).

وبتأمُّل هذه الأبيات نجد أيضًا أن عناصرَ سماويةً كـ(النجم)، و(القمر)، و(الشمس)، و(الفضاء)، وإن كثر استعمالها وتوظيفها في دلالات رمزية، في الفخر والحماسة والوصف، ودلالات عاطفية، في المدح والغزل، فإنه يمكن توظيفها أيضًا في الجانب المقابل، في دلالات نفسية، كالحزن والأنين ودمع العيون، كما في قول الشاعر هنا: (سالَ النجمُ والقمرُ!)، وكما في قوله في توظيف ظاهرة (الريح): (والريحُ تشكو!)، وكما في قوله في توظيف عنصر (الشمس): (يُبعثرُ الشمسَ!).

ويقول فيصل آل صالح[1]:

نبعٌ مِنَ الفرَحِ الجميلِ الآتي ... يجتاحُني مِنْ أخْمصِي لِلَهاتِي
كي يُزهرَ الشعرُ الحلالُ ... ويُضيءَ نورُ الحرفِ من مِشكاتِي
إني لأشعرُ بالحنينِ يسُوقُها ... كالغَيْمِ تدفعُهُ الرياحُ لـ يَاتِي
وستُمطرُ الأحلامُ حين قدومِها ... ويزُفُّني قلبِي على نَبَضَاتِي
قد كان للبُعدِ البغيضِ حكايةٌ ... سطحيةُ الأسبابِ والوِجهاتِ

اتخذَ الشاعرُ في هذه القصيدة عنصرًا سماويًّا وهو (الغيم)؛ حيث شبَّه محبوبته

---

(١) آل صالح، فيصل، ديوان فتنة الشعر، قصيدة: كالغيم، (ص١١٩).

به، كما عبَّر عن كثرة الأحلام واندفاعها بـ(الإمطار)، وهذا التعبير يُبرز حالة الشاعر النفسية وشعوره بالغِبطة والسرور إزاءَ قدوم محبوبته، فأحلامه ستنهمر كسَيل (المطر)، وقلبه سيزُفُّه على أنغام نبضاته إثرَ قرب المحبوبة ومجيئها.

والصورة الشعرية هنا لها دلالاتها النفسية؛ فقد حرَّضه حنينُه وشوقه على ابتكار لوحة تعبر عن هذه الحالة مُوظِّفًا فيها مكوِّنات الطبيعة السماوية التي تعبر عن مراحل تكوين المطر، ورحلته من السماء إلى الأرض؛ فقد جعل محبوبته في إقبالها بَعْدَ بُعْدٍ وغيابٍ، كـ(الغيم) المحمَّل بـ(الأمطار) التي تمثل أحلامه، وهذا (الغيم) الذي يرمز للمحبوبة، يسوقه الحنين، كما تسوق (الرياحُ) (السحابَ)، فقد دبَّج الشاعر لوحته الفنية المعبِّرة عن تجربة الحنين والفقد والبعد والفرح والابتهاج بالقرب والإقبال، متوسِّلًا عناصر وظواهر الطبيعة السماوية المعبِّرة عن مراحل تكوين ظاهرة (المطر)، في سياق مكثَّف بدلالات نفسية تتتابع طوالَ القصيدة.

والتعبير عن الفَرَح بنزول المطر من الدِّلالات النفسية القديمة المعروفة عند الشعراء؛ فقد عشِق العربُ المطر؛ لأنه مَبْعَث الحياة الخَصبة، فهو مصدر السَّقْي الوحيد لتلك البيئة الصحراوية، فقد عبَّروا بأشعارهم عما في خَلَجاتهم من حبٍّ ونشوةٍ وفرحٍ وخوفٍ، فتتبعوا نزول الأمطار بدقة واهتمام كبيرَيْن، فوصفوه وصفًا دقيقًا، ونقشوا له لوحات فنية غاية في الروعة والجمال، ورصدوا مراحل وعوامل تكوينه، من سحاب ورياح وبرق ورعد، ووظفوا ذلك في غزلهم ومدحهم ووصفهم، وما يخالط نفوسَهم من أنواع المشاعر ونوازع النفس. وقد توارث شعراءُ الجنوب السعودي المعاصرين هذه الدِّلالات، بما يمتاز به الجنوب من طبيعة صحراوية تُبرز جماليات الطبيعة السماوية.

ونلاحظ حضورَ شخصية الشاعر في هذه القصيدة بكثافة، كما في الكلمات التالية: (يجتاحُني)، (أخمُصِي)، (لَهاتي)، (مُهجتي)، (مِشكاتي)، (إني)، (أشعر)، (يزفُّني)، (قلبي)، (نبضاتي)، فياء المتكلم، والفعل المضارع للمتكلم، يُبرزان شخصية الشاعر، ويفرضان حضورها على مفاصل القصيدة، وهذا الوجود القوي للذات يصل إلى

المتلقِي ويحسُّ به، كما أنَّ الدِّلالات النفسية لصدور الكلام على جهة التكلُّم في تعبير الشاعر عن ذاته يُظهر أثرها بصورةٍ أقوى وأصدق وأوضح لدى المتلقي والسامع، من صدوره على جهاتٍ أخرى.

ويقول زاهر بن عوض الألمعي[1]:

نجـمٌ هَـوَى فارتجَّـتِ البيـداءُ وتفجَّعـت مـن هَوْلِـهِ الأرجـاءُ
واغبرَّ وجـهُ الأرضِ وانـداحَتْ بـه سـحبٌ جهـامٌ كلهـا دهمـاءُ
ودهَى الجزيرةَ خطبُ هولٍ فادح برزيّـةٍ عمَّـتْ بهـا البَلْـواءُ
أصغتْ لها (بغدادُ) واضطربتْ لها في (الشام) في (أرْدُنِّها) العُلَمَاءُ

ويقول الشاعر أيضًا:

قـد كنـتَ فـي حَلَقَـاتِ علـمٍ رائـدًا فلأنـتَ بـدرٌ فـي الـدُّجى وضَّـاءُ

تُعبر هذه القصيدة عن الحالة النفسية التي تلبَّست الشاعر إثر وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتي الأسبق للمملكة العربية السعودية، فقد ذكر الشاعر أن القصيدة قيلت في رثاء الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية.

وقد استَعمل الشاعر في قصيدته بعض عناصر الطبيعة السماوية ليصوِّر بها مشهد وفاة الشيخ، فقد عنْوَن الشاعر لقصيدته باسم: (نَجمٌ هَوَى) يَقصد بذلك الشيخ محمد بن إبراهيم، فيشبهه بالنجم العالي المتلألِئِ في جو السماء، في سموِّ مكانته وعلو منزلته، وكأن وفاتَه ورحيله عن الدنيا تحاكي هَوِيَّ نجمٍ مرتفعٍ في السماء.

ونجد أن الشاعر بعدما جعل هذه العبارة هي عنوان القصيدة المعبِّر عنها، عاد فافتتح القصيدة بالعبارة نفسها، فالعنوان هنا يستبطن دلالةً موجزةً مكثَّفةً تعبر عن نص القصيدة الآتي، فإن المتلقي عند استنطاقه لعنوان هذا النص الشعري، وتفكيكه

---

(١) الألمعي، زاهر بن عوض، ديوان الألمعيات، قصيدة: نجمٌ هوَى، (ص٣٤).

لشفراته العلاماتية اللُّغوية، ومحاولة ربطها بمتن النص، فيما يُعرف بـ(بؤرة العنوان)[١]، يجد ارتباطًا وثيقًا بين هذا العنوان وموضوع القصيدة وغرضِها، وهو رثاءُ شخص الشيخ محمد بن إبراهيم الذي عبَّر عنه الشاعر بسقوط النجم، ولذا أعاده الشاعرُ مرة أخرى في (الفاتحة النصِّية)، ليؤكد هذا الارتباط ويوضح مقصوده بهذا العنوان، فقال: (نجمٌ هوى فارتجَّت البيداءُ... إلخ).

ونجد أن الشاعر وظَّف عناصر الطبيعة السماوية في مدح الشيخ محمد بن إبراهيم ببراعة، فعندما أراد تصوير مشهد رحيله جعله كـ(النجم) الذي هَوَى، وعندما أراد تصوير مكانته العلمية ونفعه للخلق حالَ حياته، جعله كـ(القمر) ليلة (البدر) في وضاءته وإضاءته للناس سبلَ الهدى والرشاد، وكما صوَّر الأرض وكأن وجهها يغبرُّ إثر حزنها على رحيل الشيخ، صوَّر السماء وكأنها يملؤها (سحبٌ) كثيفة تغطي الأرض بظلامها، في إشارة إلى مشهدٍ غاية في الحزن والأسى والكآبة.

وتوظيفُ الشاعر لمكوِّنات الطبيعة السماوية هنا في تصوير المشهد يوقظُ حواسَّ السمع والبصر لدى المتلقي، فكأن هذه العناصر تحاكي فيلمًا وثائقيًّا لمشهد حزنٍ كونيٍّ خيَّم على الدنيا عند رحيل الشيخ محمد بن إبراهيم، ومنه يتضح قدرة الشاعر على إيصال طبيعة مشاعره النفسية إلى المتلقِّي من خلال توظيف عناصر الطبيعة السماوية في خلق صورة حسِّية معبِّرة عنها.

---

(١) تُعتبر عتبة العنوان النصي هي أهم منافذ النص المدروس، وذلك بتقسيمه إلى ثلاثة مفاتيح علاماتية هي كالآتي: بؤرة العنوان، والفاتحة النصية، والخاتمة النصية، وبؤرة العنوان تتمثل في استنطاق عنوان النص الشعري، وفك شفراته وعلاماته، والربط بينها وبين متن النص، وعمومًا كل عناوين النصوص الشعرية القديمة هي فواتح النصوص الأدبية. انظر: خاقاني، محمد، وعامر، رضا، المنهج السيميائي: آلية مقاربة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ع٢، ١٣٨٩هـ، ٢٠١٠م، (ص٧٨).

ونرى الشاعر محمد بن علي السنوسي في قصائده واصفًا الليل والنهار، وما يعتريهما من مشاعر الإشراق والحياة في النهار، أو البؤس والحزن في الليل، فيصف غروب الشمس بشكل بديعي جذاب فيقول(١):

أراقَ على البحرِ ذوبَ الذَّهَبْ وفاضَ على مَوْجِهِ واضطربْ
ورقرقَ صَهْبَاءَهُ فاحتسَتْ ثغورُ الذُّرَى وشفاهُ الصَّبَبْ
وألقَى على الشمسِ مِنْ لَوْنِهِ رداءً وقَبَّلَهَا وانجذَبْ
فيا لكَ مِنْ منظرٍ سَاحِرٍ نَعِمْتُ به لحظةً واحتجَبْ

فيصور نور الشمس على البحر، وكأنها شذور الذهب قد فاضت على موجِه، وكأن الشمس قد ألقت رداءً على البحر، ثم يُصور المشاعر النفسية؛ التي نتجت عن هذه الصورة البديعية؛ حيث أَسَرَتْ هذه الصورة لُبَّهُ، فيقول: فيا لكَ من منظر ساحرٍ نعمتُ به لحظةً واحتجبْ، فلفظ (نَعِمْتُ) دلَّ على حالة الفرح والسرور والنشوة؛ التي لاقاها الشاعرُ وقت غروب الشمس.

ثم يصف دخول الليل المظلم البَهِيم، وما ينتج عنه من حالة نفسية كئيبة، فيقول(٢):

ومالتْ تُوَدِّعُ مِن يومِها نهارًا يُوَدَّعُ فيها الرَّمَقْ
تَدَلَّتْ على الأُفْقِ في نشوةٍ مُضَرَّجَةَ الخدِّ والمعتنَقْ
طَوَاهَا وأَلْحَفَهَا صَدْرَهُ عَظِيمٌ مِنَ اليمِّ يُدْعَى الغَسَقْ

فبعد أن وضَّح الشاعر حالة الفرح والسرور التي اعتلَتْه وقت غروب الشمس،

---

(١) السنوسي، محمد بن علي، ديوان القلائد، قصيدة: غروب الشمس، (ص١٧٦).

(٢) السنوسي، محمد بن علي، ديوان القلائد، قصيدة: غروب الشمس، (ص١٧٧).

وصف دخول الليل، ووداع الشمس للكون، كأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، حتى يطوي الكون الليل الكئيب، ويضمها إلى صدره، حتى تبدأ رحلة معاناةِ الشاعر مع الليل الموحش الكئيب، والصمت الرهيب المفزع.

فنراه يؤكّدُ على تلك المشاعر النفسية في الليل فيقول[١]:

تَحَـدَّرَتِ الشـمسُ نَحْـوَ الغـرو بِ ورانَ على الكونِ صمتٌ رهيبْ

ولاحـتْ عَلَـى وَجْهِهَـا صُـفْرَةٌ ولاحَ علـى الكـونِ لَـوْنٌ كئيـبْ

الخلاصة:

بعد عرض نماذج من شعر شعراء الجنوب السعودي، وتوظيفهم لصور الطبيعة السماوية في الدِّلالة على المشاعر النفسية، يمكن القول: إن توظيفَ الطبيعة في الشعر للدِّلالة على المشاعر النفسية ليس بغريبٍ أو جديد في التراث الأدبي؛ بل إن استخدام مصطلحات الطبيعة قد وُجد في العصر الجاهلي، فاستُخدم الليل للدِّلالة على الوحدة والهم والحزن، والنهار وطلوع الشمس للدِّلالة على الفرح والسرور أو الأمل والتفاؤل، واستُخدمت النجوم للدِّلالة على الوحدة في الليل، أو الدِّلالة على الثقة في النفس، كما استُخدم المطر للدِّلالة على الفرج والفرح والسرور.

ولذلك نرى أن الشعراء السعوديين قد نهجوا نهج أسلافهم من الشعراء في توظيف الطبيعة السماوية للدِّلالة على المشاعر الكامنة في الذات، ونقل التجربة الشعرية للمتلقِّي؛ بما يشكل تفاعلًا كبيرًا من المتلقي نحو الشاعر، والإحساس بمشاعره؛ وذلك لاتفاق الجميع في معايشةِ تلك المظاهر الطبيعية، فسواد الليل هو مظهر طبيعي يعايشه الجميع، وظلمته يشعر بها جميع الناس، فمشاركه المتلقي مع

(١) المرجع السابق، (ص١٧٨).

الشاعر في هذه الظواهر ومعايشته له، تجعله يَشعر بنفسيةِ الشاعر ويُقاسمه فيها، وبهذا يكون الشعر قد حقق أهمَّ معيارٍ من معاييره؛ وهو التأثير في المتلقي.

الخاتمـــة

الحمد لله في البدء والختام، وصلاة وسلاما على النبي العدنان ، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان .

وبعد

فقد فرغت ـ بعون من الله وتوفيقه ـ من هذه الدراسة الموسومة بـ " تجليات الطبيعة السماوية في الشعر السعودي عند شعراء الجنوب دراسة دلالية فنية " ، وقد أسفرت الدراسة عن عدد من النتائج أجملها في التالي :

أولا: وظف شعراء الجنوب بالمملكة العربية السعودية عناصر الطبيعة في أغراض الشعر الدينيَّة المتنوعة، وقد أخذ مدح النبي ﷺ، من ذلك النصيب الأكبر حيث ربط الشعراءُ بين مدحَ النبي ﷺ وبين صُور الظواهر الطبيعية والعناصر الكونية، كالقمر وصورته والشمس والنجوم، فأبدع الشعراء في توظيف تلك الصُّور؛ لإظهار صفات النبي ﷺ وبيان مدحه كصفة الهداية والنور كما في القمر والنجوم، وصفة الجود والكرم كما في الغمام، فاستمدُّوا تلك المعاني من صور الطبيعية ومظاهرها.

ثانيا: استحضر شعراء جنوب المملكة العربية السعودية الصورة الرمزية بصورها المتنوعة فقد استخدموا صورةَ المطر للتعبير عن سلاسةِ وانهمار الشعر، ونزوله بالنفع والخير، وصورة الكواكب للتعبير عن ذُيوع الصِّيت والشهرة، وغيرها من الصُّور الرمزية الطبيعية.

ثالثا:: جاءت الطبيعة السماوية ممتزجةً في أكثرَ مِن غرض من الأغراض الشعرية لدى الشعراء السعوديين؛ وذلك لتكشفَ تلك الأغراض عن امتزاج الطبيعة السماوية مع المعاني العاطفية التي تدلُّ على صدق التجرِبة الشعرية لهؤلاء الشعراء.

رابعا: أعطى الشعراء الطبيعةَ السماوية بعض المعاني التي تحتمل دلالاتٍ مختلفةً

كدلالة النور والهداية للشمس والقمر، ودلالة الخير والنماء للمطر، والكثير من المعاني الصادقة التي دلَّتْ على صدق التجرِبة الشعرية مع الخيال العاطفي، فخرجت صورٌ طبيعةٌ للمتلقي في صُور حسية مجسَّدة لتُحَقِّقَ صدق المعاني.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن بطنين، حسن، ديوان فوسطنَ بهِ شعرًا، قصيدة: الجميلة العروضية، دار أثر للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الدمام، ط١، ١٤٤٤هـ، ٢٠٢٢م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، ١٩٥٢م.
- ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- أبو شرارة، محمد، ديوان السَّماوي الذي يُغنّي، قصيدة: نقشٌ على ذهب النيلَيْن، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.
- الأزرقي، محمد بن عبد الله، أخبار مكة، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت،
- آل صالح، فيصل، ديوان فتنة الشعر، قصيدة: نسماتٌ من فردوس النبوة، مؤسسة الانتشار العربي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٢٣م.
- الألمعي، زاهر بن عواض، ديوان الألمعيات، قصيدة: مراقي الفضاء،
- الإمام أحمد في مسنده، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م،
- امرؤ القيس، ابن حجر بن الحارث، ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- الأمين، حميد سعيد، الشعر الحقيقي هو الذي يبدع قراؤه، مقال بملحق الشرق الأوسط، ٢٠١٤م.
- البخاري في صحيحه، رقم (١٩٠٩)، ومسلم في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- البيهقي في السنن الكبرى، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، رقم (٨٠٢٥)، وأبو داود الطيالسي في مسنده، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- التميمي، فاطمة حميد يعكوب، والخالدي، ياسر علي، القيم الجمالية للطبيعة الصامتة في شعر شعراء الطبقة الثالثة الجاهليين، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، مج٢٣، ع٣، ٢٠١٥م،
- الجنابي، عناد غزوان، مستقبل الشعر، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٤م.

- الحربي، إبراهيم بن إسحاق، غريب الحديث، تحقيق: سليمان إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ.
- الحكمي، إياد، ديوان على إيقاع الماء، قصيدة: دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٢م،
- الحملي، إبراهيم علي، ديوان يستوون، قصيدة: ثبور.
- خاقاني، محمد، وعامر، رضا، المنهج السيميائي: آلية مقاربة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ع٢، ١٣٨٩هـ، ٢٠١٠م،
- الدميني، علي، ديوان خَرَزُ الوقت، قصيدة: الصُّبح، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.
- الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م،
- الزهراني، حسن محمد، ديوان هات البقية، قصيدة: صباح الشعر، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
- الزهراني، عبد الرزاق بن حمود، ديوان الضمائر الغائبة، قصيدة: بلدي، مطابع سمحة، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- سابي، عبد الرحمن، ديوان أنايَ التي أريد، قصيدة: أمام وإمام، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٦م.
- سابي، عبد الرحمن، ديوان أنايَ التي أريد، قصيدة: وجه آخر للورع،
- صالح، هويدا عبد القادر، الدلالات النفسية والبناء الجمالي في الشعر، ج١، ٢٠٢١م.
- صبح، علي مصطفى، المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة السعودي، الناشر تهامة، ط١، ١٩٨٤.
- العقيلي، محمد بن أحمد، المجموعة الشعرية الكاملة، قصيدة: جازان.
- فرحات، أحمد حسن، القصيدة: المغناة في الشعر العربي: دراسة فنية أسلوبية، نادي أبها الأدبي، ط٢.
- الفيفي، عبد الله بن أحمد، ديوان إنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِق، قصيدة: رَهَش، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٢١م،
- الفيفي، عبد الله بن أحمد، ديوان فيْفَاء هبّة الطفولة، قصيدة: مكاشفات أخيرة في مهبِّ الليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م
- قطوس، بسام موسى، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن.

- محسن، بشرى حنون، توظيف المقدس الديني في الشعر العربي الحديث، جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية، ٢٠٢١م.
- مرتاض، عبد الملك، التحليل السيميائي للخطاب الشعري: النص من حيث هو حقل للقراءة، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج٥، م٢، ١٩٩٢م.
- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط،
- المطيري، حنان غالب، الدلالات الرمزية في ديوان فصول من سيرة الرماد لصالح الزهراني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، ع٣٨،
- مفتاح، محمد الغزواني، في سيمياء الشعر القديم: دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.
- مفتاح، محمد الغزواني، في سيمياء الشعر القديم: دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
- مفتاح، محمد، دينامية النص، المركز الثقافي، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.
- موشعال، فاطمة، النقد السيميائي في مقاربة محمد مفتاح للخطاب الشعري العربي القديم، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٢٠م.
- هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٥٣م.
- الواحدي، أبو الحسن، شرح ديوان المتنبي.